COLLAPSE

رسلي المالكي

الطبعة الثانية

الريم
Dhafer

اسم العمل: الانهيار

تأليف : رسلي المالكي

الطبعة الأولى: ايار 2015

التجهيزات والطباعة:

الشركة المتحدة للطباعة والنشر وتكنولوجيا المعلومات

info@uppitco.com

الترقيم الدولي:

9781784810177

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

تصميم الغلاف والكتاب: علي حجازي

دار بابل
للطباعة والنشر والتوزيع
بغداد

DAR ALHIKMA
Publishing and Distribution

دار الحكمة
للنشر والتوزيع

88 Chalton Street, London NW1 1HJ
Tel.: **+44 (0) 20 7383 4037** Fax: **+44 (0) 20 7383 0116**
E-Mail: **hikma_uk@yahoo.co.uk** Website: **www.hikma.co.uk**

يشكر الكاتب رسلي المـالكي كل من ساعد وساهم في جـعل روايته (الانـهيار) تظهر بالشكل والمضمون الذي هي عليه الان، ويقف ممتنا لاصغر محاولة مساعدة قدمت له اثناء مسيرته لانجاز هذا العمل طوال احد عشر شهرا ..

شكر وتقدير الى :

مصـطفى بهجـت × المهندسة فاتن الربيعي × جنيد عامر حـميد
× علي حـجازي × زيـنب نجم × الدكتور سـامر الاوسـي
×الدكـتور محمد جـلو × تيسير القيسـي × الاستـاذ ثائر المشكور
× المهـندس رعد الخفـاجي × الدكـتور نشـأت فرج حـنا
× الدكتور نبيل غازي الخـطيب × الدكتورة حيـاة الجـيبه جي
× نورس رحيمـة × احمد الحسيني × داني ميـشو × احمد ضياء الدين
× فاديـة بولص × حليم محـمود × عمر المصري × سـعود المـراني
× جمانة البـجاري × حـنان العبـيدي × حسـن ثامـر × احمد الصـفار
× نور جمـال عبد الحميد × الدكتـور خالد عبد الكـريم خالد
× الدكتور مهند المعموري × Karin Schaechtele

و الشكر و العرفان و الدعاء بالرحمة و الغفران الى روح البروفيسور الكبير الاستاذ الدكتور(عباس بدر الرياحي) الذي لم يمهله الاجل رؤية (الانهيار) وهي تكتمل.

و الى ..
سـارة ..

استندت هـذه الرواية على كتب ومصادر ومراجع تاريخية رصينـة، وان جميع الاماكـن والمناصب والاوصـاف العلمية والتاريخيـة فيها حقيقية، كما قـد تم اطلاق اسم «البلاك ساند» على شركة امريكية امنية حقيقية خاصة تعمل في عدد مـن البلدان، ولابد من التنويه الى ان شخصية محمد المختار خيالية ولا تمت للواقع بصلة.

الاهداء..

الى الذين سيعانون الانهيار حد الموت..

سيشحذون..

ويتصارعون..

ويموتون..

في كل العالم..

بينما يرتشف الفاعلون نخب ثرائهم الجديد..

رسلي المالكي

ستدركين كم كنت على صواب..
عندما فعلت كل ما فعلت..
من اجل ان نحيا بالعيش الذي نريد..
في وقتٍ ينهار كل شئ حولنا..
بلا هوادة..

COLLAPSE

الفصل 1

كانت الساعة الواحدة بعد منتصف ليلةٍ من ليالِ يناير الباردة، حينما رن الهاتف النقال بنغمته الافتراضية في غرفة نومه الصغيرة، صحا وقد تفاجأ بصوت الهاتف، فلم يكن قد اعتاد رنينه في هكذا وقتٍ من الليل، تلمس باصابعه سطح الدولاب الملاصق لسريره، تناول منه نظارته الطبية، وضعها و نظر الى شاشة النقال ليزداد حيرة.

رقم خاص.

تردد في الرد للوهلة الاولى، لكن فضوله و تذكره للقضية التي يترافع فيها دفعاه ليزيح بابهامه الزر الاخضر المخصص للرد على شاشة هاتفه الذكي، وفتح الخط..

"السلام عليكم استاذ".. قال صوت ممتلئ على الطرف الثاني من المكالمة..
"عليكم السلام، تفضل".. ناهضا من سريره..
"معك النقيب سلام من القصر"..
"عفواً"؟.. تفاجأ بمصدر المكالمة، القصر !
"هناك سيارة دفع رباعي بانتظارك، من جهة شارع فلسطين".

لملم افكاره ليرد، لكن المتكلم استمر..
"باسرع ما يمكن استاذ، مع السلامة"!.

اغلق النقيب الخط، تاركاً المحامي مهدي العلي في حيرةٍ تامة .
استعد لتحضير نفسه للذهاب حيث تنتظره السيارة حسب الوصف.

الفصل 2

كان منزل المحامي مهدي العلي واقعا في حي زيونة الراقي وسط رصافة بغداد، و تحديداً خلف مبنى دار الازياء العراقية، حيث يبعد منزله نحو 300 متر عن شارع فلسطين، خطاها مهدي بخطواتٍ سريعة في ليلةٍ من اشد ليالي يناير برودةً ليصل الى الشارع العام، لمح سيارة شيفروليه تاهو سوداء مظللة ذات نظام دفعٍ رباعي، وقف على الرصيف و اخذ يراقب السيارة التي تقف على مقربةٍ منه علىً ارضية الشارع، كان يحاول التاكد من كونها السيارة التي عليه ان يكون فيها ..
و باسرع ما يمكن.

كانت لوحات السيارة تشير الى انها حكومية، اخرج علبة سجائره من جيب سترته الرمادية وهو يسترق النظر الى السيارة التي كانت هوائيات الاتصال على سقفها تتمايل بفعل الريح الباردة التي تهب حيناً و تصمت حينا اخر.

اومض ولاعته ليشعل سيكارة، فأومضت معها المصابيح الامامية لسيارة الشيفروليه، اخذ نفَسَه الاول و نظر اليها، فُتح بابها الامامي و ترجل منها شابٌّ اصلع ذو شاربين كثين وبنيةٍ قوية، كان يرتدي سترة رياضية و بنطالا بجعبتين في جهتيه و هو اشبه ما يكون عسكرياً، وضع يده في جيبه و اشار بالاخرى لمهدي بالاقتراب.

نفث مهدي دخان سيكارته و اقترب من السيارة، نازلا الى ارضية الشارع، رمى السيكارة، واشار له الشاب بالصعود..
"السلام عليكم"، قال مهدي و البخار يخرج من فمه مزوجاً بدخان سيكارته..
"عليكم السلام، تفضل استاذ".

فتح الضابط الاصلع الباب الخلفي، صعد مهدي الى السيارة و اغلق الباب وراءه.
شعر مهدي العلي باختلاف الجو تماماً، غمره دفء السيارة حين استقلها، حاول الاسترخاء بعد شد عضلاته بسبب البرد خارجاً، لكنه تفاجأ بشد اعصابه هذه المره بسبب السرعة العالية التي بدا السائق يقود بها، كانت الشوارع شبه فارغة من السيارات، و قد اغتنم السائق الفرصة.
كان السائق يقود متجاهلا ورفيقه النداءات المتواصلة الصادرة من جهاز الاتصال المثبت داخل العجلة، نداءات تحمل طابعاً امنيا، بدا مسترخياً وهو يحدث الضابط الى جانبه، لم يفهم مهدي ما يقولانه، فقد كان صوت جهاز الارسال عالياً و متواصلاً و ممزوجا بصفيرٍ متقطع، التفت الضابط الاصلع الى مهدي عارضاً عليه المزيد من التدفئة، رد مهدي بالشكر، و انحرفت السيارة لتسلك الخط السريع متجهةً الى مركز المدينة.

الفصل 3

في مقر الشعبة الخامسة ببغداد، كانت الاجواء مختلفة تماما عن الوضع الاعتيادي اليومي، استنفار امني في محيط المبنى، سيارات دفع رباعي داخل باحة المقر الذي يخضع لاجراءات امنية مشددة.

تعتبر الشعبة الخامسة اهم مقرات الاستخبارات العسكرية العراقية، تحولت بعد عام 2003 الى مقر هام للمخابرات العراقية، وتحتوي على عشرات الزنازين، اضافةً الى غرف لمنصات الاعدام شنقاً، نفذت فيها العديد من عمليات الاعدام في زمن الرئيس المخلوع صدام حسين، قبل ان يُعدم فيها صدام حسين نفسه.

لذلك المبنى رهبة عميقة في نفوس العراقيين، اذ تحوم حولها قصص المئات ممن سجنوا و عذبوا واعدموا فيها متدلين على حبال المشانق.

توقفت سيارة الشيفروليه التي تقل المحامي مهدي العلي في باب مقر الشعبة الخامسة، انزل الضابط الاصلع زجاج نافذته و تحدث للشرطي في باب المبنى، بعد ثوانٍ من الحديث القصير و ابراز الضابط هويته التعريفية للشرطي و تفحص الشرطي نوع السيارة و لوحاتها، فتح الباب و دخلت الشيفروليه الى باحة المبنى.

ترجل الضابط من السيارة بعد ان استقرت في باحة الشعبة الخامسة و فتح الباب لمهدي العلي ليترجل منها، صُدم مهدي بالمكان، فقد كان يترافع عن قضيته الاخيرة في مقر محكمة، و ليس في مقر مخابرات الدولة.

بدا كل شـــئ مريباً، نظر مهدي للضـــباط و افراد المخابرات الذين كانوا منهمكين باجـــراء الاتصـــالات و التنقل داخل المبنى بارتباك، امســـك الضـــابط بمرفق مهدي مشيراً له بالتحرك، و اقتاده الى مقر مدير المبنى.

شـــعر مهدي و كأنه معتقلٌ بيد السلطات، الاتصـــال الليلي، سيارة الشيفروليه ذات اللوحات الحكومية، مقر مخابرات الدولة، كان كلُّ شـــئ غامضـــاً بالنسبة له، ســـحب انفاسه بصعوبة بالغة، كان الادرينالين يجتاح كل خلايا جسمه، و في كل خطوة يخطوها مع الضـــابط الاصـــلع، كانت دقات قلبه تتسارع شيئاً فشيئا، زاد برد الجو من ارتباكه، و بدت صـــور الاحداث بطيئةً امامه و هو يمشـــي بجسم يترقب الاتي.

انا في الشعبة الخامسة !

وصـــل الاثنان الى غرفـــة مدير المبنى بعد المـــرور بعدة اروقة وممرات، دخل الضـــابط الاصـــلع اولا، ضرب الارض بقدمه مؤدياً التحية، اشـــار بوصـــول المحامي حسب ما طلب منه فعله، ثم اومأ لمهدي بالدخول.

دخـــل مهدي الى غرفة مدير المبنـــى، كان الرجل بقامة طويلة و بزي امني رســـمي، بدلـــه نيلية اللون تبرق على اكتافها شـــارة الرتبة، ثلاثة نجوم فضـــية مرتبة هرميا تحت شـــعار الدولة (الصـــقر)، كان العميد مدير الشـــعبة الخامسة تاركاً الجلوس خلف مكتبه و يجوب غرفته بقلق مدخناً سيكارته، نظر مهدي الى الرجل و القى التحية..

"السلام عليكم سيادة العميد"، قالها مستجمعاً قواه..

"عليكم السلام استاذ، تفضل !".

جلس مهدي على اريكة قبالة الجانب الايمن لمكتب العميد. اجتاحه احساس من الراحة النسبية لطريقة كلام المدير. جلس العميد الى جانب مهدي و اطفأ سيكارته في منفضةٍ على منضدةٍ مقابلة للاريكة. واستدار الى مهدي..
"استاذ. اود اعلامك باننا قمنا بنقل موكلك الى هذا المبنى مساء الامس. اوامر السلطات العليا بجهاز المخابرات قررت نقل النزيل من سجنه السابق الى هنا"..

شعر مهدي بنوبة غضبٍ و ارتياح في آنٍ واحد. فالموضوع طبيعي ان قامت السلطات بنقل نزيل من مكان الى اخر. لكنه غضبٌ لما مر به من سلسلة احداث في هذه الليلة من قبل السلطات. كان من الممكن ابلاغه هاتفياً بنقل النزيل. او استدعاؤه دون ارسال سيارة امن بلوحات حكومية لإحضاره.
"سيدي. شكراً لابلاغي. بامكاني زيارته في وقت لاحق اذا سمحتم". قال مهدي متمنيا مغادرة المكان باقرب فرصة.
بدا العميد مرتبكاً اكثر وقد اشعل سيكارة اخرى و سحب منها نفسا عميقا. نظر الى سقف مكتبه كمن يستجمع قواه. و نظر الى مهدي قائلا:
"بل بامكانك رؤيته الان !"..
شعر مهدي بالف علامة استفهام في راسه. نظر الى عيني الضابط التي تملؤها الحيرة. هز راسه بالموافقة. نهض العميد الى مكتبه و ضغط على زر مثبت عليه. دخل رجل امنٍ مسلح ببندقية كلاشنكوف و مسدس ذو التسعة ملميترات. وأدى التحية..
اشار العميد لرجل الامن مرافقة "الاستاذ" الى الزنزانة رقم 12.

مقاوما فضوله المتزايد. نهض مهدي من مكانه. و نظر الى العميد بابتسامةٍ فاترة. هز المدير راسه وعاد ليرتشف سيكارته. مشى مهدي مع رجل الامن خارجاً من غرفة المدير. وجد نفسه يسير في اروقةٍ عديدة مع رجل امن مسلح. و بعد ان تاكد من تجاوزهما كافة الممرات التي يطل عليها مكتب المدير. طلب من رجل الامن

استخدام الهاتف النقال، وبعد ان بدا عليه نوع من التردد، هز الرجل راسه موافقاً، و خطا بضع خطوات ليقف على مبعدة من مهدي، لكنه لم يزح عيناه عنه.
اخرج مهدي نقالهُ ووضع نظارته الطبية وبدا بكتابة رسالةٍ نصية، اكمل الكتابة وحدد اسم المستلم (مها الطالبة)، وأتم الارسال.

"انا في الشعبة الخامسة، ان حدث اي طارئ فانت من يعلم بذلك، كوني حذرة".

كان مهدي العلي محاميا و استاذا في كلية القانون بجامعة بغداد، اما مها فقد كانت طالبته في المرحلة الرابعة في الكلية ذاتها، و هي احدى طالباته المميزات، تطورت علاقته بها عندما اشرف على بحث تخرجها، كما كانت نقاشاتهما الطويلة معا في ميدان السياسة و القانون حافزا للتقارب الفكري بينهما، خصوصا النقاشات المتعلقة باحداث البلاد الاخيرة و تسلم الحكم من قبل حكومة جديدة اثارت على سابقتها قضايا فساد، فقد شغل الاعلام بقضايا الفساد تلك التي اثيرت ضد اعضاء الحكومة السابقة و قادتها.

تطورت العلاقة بين مها الطالبة و استاذها الى علاقة من نوع خاص، كشف فيها مهدي لمها عن بعض اسرار و خفايا القضية الاخيرة التي يترافع عنها، فقد كانت مها محط ثقته و اعجابه لما راى فيها من لباقة محامية المستقبل، فقد كان يسميها "حفيدة حمورابي"، الملك صاحب الشريعة الشهيرة.

وضع مهدي نقاله في جيب سترته بعد ان تاكد من تقرير التسليم، اثنى نظاراته و اعادها الى جيبه، اشار للرجل بابتسامة شكر، و اقترب الاخير ليكمل ايصال مهدي الى (الزنزانة 12).
لاح في نهاية الرواق امر غير طبيعي، عدد من افراد الامن و الشرطة يتحدثون بينهم، و اخرون يبدون قد دخلوا الزنزانة فعليا.

اقترب مهدي و رجل الامن ليصلا الى الافراد المقابلين للزنزانة. كان بعضهم يرتدي قفازات بيض. بينما همّ الاخرون باجراء الاتصالات عبر اجهزةٍ خاصة.
اشار ضابط برتبة نقيب يرتدي زيه العسكري لرجل الامن و مرافقه – المحامي – بالتوقف. تحدث رجل الامن الى النقيب ليعلمه بهوية مرافقه. اشار النقيب لمهدي بالاقتراب. بينما ابتعد رجل الامن عائدا الى نهاية الرواق..

"مرحبا. حضرة النقيب".. قال مهدي و هو ينظر الى رتبة الضابط اللامعة على كتفيه.
"اهلا استاذ. ممكنٌ ان تسلمني نقالك الخاص ؟".

استغرب مهدي طلب النقيب. "اه طبعاً. و اتمنى رؤية موكلي لينتهي كابوس هذه الليلة في هذا المبنى الكئيب !". قالها مبتسما و هو يخرج نقاله من جيبه. تسلم النقيب جهاز النقال ولم يجب على كلام مهدي. امسك يده و مشيا نحو الزنزانة التي لم تعد تبعد عنهما سوى امتارٍ قليلة... قال النقيب:
"استاذ مهدي. ما ستراه الان سيبقى سراً بيننا !". توقف مهدي و شعر بنوبة غضب.
ماذا حدث لموكلي؟

"حضرة النقيب. اذا كان موكلي قد اصيب باي مكروه فانني لا استطيع ان اعدك بابقاء ذلك سراً". قال مهدي بنبرة غضب. عصر النقيب يد مهدي و قال:
"بل ستفعل..!"..
ضبط مهدي اعصابه و مشى نحو الزنزانة. ترك النقيب يد مهدي ليمضي نحوها و يرى ماحدث.
صدم لرؤية افراد الادلة الجنائية يخرجون من الزنزانة بقفازاتهم البيض و كاميراتهم. اقترب من مدخل الزنزانة وقد اعترته حالة من الخوف من المجهول و

الفضول في آن واحد. كانت الانارة في سقف الزنزانة تبدي ما بداخل الغرفة بوضوح. اطبق الصمت حول اذنيه في تلك اللحظة رغم اصوات افراد الامن و التحقيقات الذين كانوا يتحدثون وسط اصوات اجهزة الاتصال التي بحوزتهم.

نظر الى رجل ببشرةٍ حنطية ممدد على سرير ملاصق للجدار الايسر من الزنزانة. خطا متجاوزا منزلق باب الزنزانة الممتد على الارض. اصبح داخل غرفة السجن منفردا مع جثة ممددة على سريرها وقد تدلت يدها اليمنى من طرفه. شعر برائحة الزنزانة المثقلة برطوبة الجدران. كانت شبيهة برائحة مسحوق السمنت المختلط بالماء توا.
كانت بطانية خضراء تغطي النصف الاسفل من الجثة. فيما كان النصف الاعلى عاريا من الملابس.

احس مهدي بالعرق البارد يتصبب من كل مسامات جسمه. اقترب اكثر من سرير الجثة الذي كان راسها متجها نحو باب الزنزانة. وانخفض اكثر لينظر الى وجه الميت. لايدرِ لما شعر بانه قد اغتيل. اكثر من كونه توفي طبيعيا ..

محمد المختار.. قتيلا في اكثر سجون بغداد امناً !..

الفصل 4

الثانية و 20 دقيقة ليلا.

وقــف المحامي مهدي العلي في الزنزانة متســمراً امام جثة موكله، المتهم محمد المختار، استمر محدقاً بالجثة، لم يبد عليها اثر طعنة او ثقب رصاصة، دخل النقيب الى الزنزانة المنفردة التي تضم الجثة و اشار على مهدي بعدم لمسها، طلب مهدي من النقيب التراجع ليبعد ظله عن الجثة، و ليتسن للضوء ابراز تفاصيلها، وشعر بحالة من الغثيان و بدأ يحس بالدوار يفعل فعله في رأسه.
لو انه كان كابوسا !

لم يحتمــل المنظر اكــثر، خرج من الزنزانة و اتكأ على الجــدار المجاور للباب، اغمض عينيــه و قــال للنقيب الذي وقــف قريبا منه: "مــاذا حدث له بحق الســماء ؟"، رد الضــابط: "لا يزال التحقيق جاريا حضرة المحامي.. سنبدأ اجراءات ارسال الجثة الى التشريح لمعرفة السبب الحقيقي للوفاة".

سحب مهدي نفسا عميقا، و فتح عينيه كمن يفتحها حين يخرج من تحت سطح الماء، اطلق نوبة زفير، ورغم انه تردد في دخول الزنزانة مجددا، لكن شيئا كان بداخله يصــر علــى دخولها مرة اخرى، نظر الى افراد الامن و هــم ينظرون اليه كمن يريد ان يقرا ما بعينيه من افكار، سحب سترته الى الاسفل وتنحنح و هم بدخول الزنزانة مجددا.

عبَر منزلق الباب من جديد، و هاهو يطل مجددا على جثة موكله التي بدت و كانها ستثير عاصــفة من التساؤلات، اســتوقفته كتابة كانت قد رسمت بصبغ بخاخ اخضرعلى جدار الزنزانة اعلى سرير الرئيس، كانت الكتابة هي الرقم 39 بالارقام

العربية الاصلية. لكن سرعان ما تناسى مهدي ذلك الرقم و عاد للنظر الى جثة موكله. وقف عند راس الجثة و نظر مجددا اليها تاركا باب الزنزانة وراءه بمشابكه الحديدية التي تشكل مربعات قطرية كرقعة شطرنج بلا الوان. رن منزلق الباب تحت حذاء النقيب العسكري الخاكي. كان قد دخل الزنزانة مجددا هو الاخر. ووقف الى جانب مهدي وهو يشبك ذراعيه على صدره ناظرا الى المنظر نفسه. عاود مهدي النظر الى الرقم 39 على الجدار و سال النقيب:

-"هل كانت هذه الكتابة هنا في الاصل ؟".

اجاب النقيب: "كلا حضرة المحامي. يبدو ان احدهم كان قد رسم هذا الرقم عند دخوله الزنزانة. قد يكون احد الافراد رسمها منذ وقت قصير. ستنابع ذلك".

شعر مهدي بان الرقم يريد ارسال رسالة ما.

-"هل لديك اية معلومة عن معنى هذا الرقم ؟". قال مهدي.

-"ليس بعد استاذ. التحقيق سيحاول كشف معنى ذلك". قال النقيب.

نظر مهدي مجددا الى الرقم 39 على الجدار..

ماذا يعني ذلك؟

كان الصمت يطبق على الزنزانة و الهدوء يلف المكان. افراد الامن انشغلوا بالتحدث مع بعضهم خارج الزنزانة. و النقيب يقف صامتا و هو يراقب تحركات مهدي و ردة فعله.

غارقا في التفكير. لم يزح مهدي عيناه عن الرقم 39 المرسوم على جدار زنزانة موكله. قطع سلسلة افكاره صوت جهاز الارسال المثبت على جانب خصر النقيب. احدث صوت صفير عالٍ. ثم نداء غير واضح. لكنه بدا جليا انه كان يحوم هو الاخر حول قضية محمد المختار القتيل.

تحـرك مهدي نحو الباب و امسـك يـد النقيب الذي كان يخفض من صـوت جهاز الارسال خاصته، عبرا منزلق الباب و خطيا نحو الرواق..
"كم مضى على وفاته ؟"، قال مهدي و هو ينظر الى الرواق الخالي الا من بعض افراد التحقيق الجنائي و رجال الامن.
"تنبـه لعـدم تحركه احـد الحراس بعد منتصـف الليل بعشرة دقائـق عندما تولى مناوبته، وددت اعلامك بان افراد المناوبتين قد تم بدء التحقيق معهم". قال النقيب.
"هل بامكاني المغادرة الان و مقابلة العميد ؟"قال مهدي.
"طبعا، سيكون نقالك لديه، تصبح على خير".

قال النقيب ذلك و هو يضع يده على ظهر مهدي و يشير الى الشرطي الذي رافقه من غرفة العميد الى الزنزانة 12 حيث كان يقف في نهاية الرواق حتى انه لم يتمكن من سـماع حوار الاثنين، وصل وادى التحية، اوما مهدي للنقيب براسه و مشى مع الشرطي، اخرج علبة سجائره وقدم احداها للشرطي، شكره الاخير و لم ياخذها.

في منعطف الرواق، تظاهر مهدي بانه يبحث عن نقاله بجيب سترته الرمادية، كان يعلم بان الشرطي المرافق له ليس لديه علم بمصادرة النقيب لنقاله.
-"اوه، نسـيت نقالي في غرفة مدير المبنى، اظنه على الاريكة، الشـعبة الخامسـة تنسيك كل شئ !".

ابتسـم الشرطي لمهدي و واصـلا المسير، "هل بامكاني اسـتخدام نقالك ؟"، فاجأ مهدي الشرطي بسـؤاله، شـعر الاخير بان الشخصـية التي معه مسـتثناة من اجراءات الشـعبة الخامسـة الخاصـة بمنع اسـتخدام النقال داخل المبنى من قبل الزائريـن، فتعامل افراد الامن مع مهدي اضـفى هالة من الاحترام له، اضـافة الى استقباله من قبل العميد مدير المبنى و جلوسه بغرفته بارتياح، ابتسم الشرطي

و اخرج جهاز نقال من جيبه. كان نقالا عاديا بلا كاميرات او تقنيات رقمية متطورة كما في الاجهزة الحديثة. التفت وراءه و تاكد من خلو الرواق من افراد اخرين. سلم نقاله لمهدي: "استعجل ارجوك ! الوضع اليوم لا يحتمل ابراز هواتفنا الشخصية!". قال الشرطي وهو يعدل حزام رشاشه الاوتوماتيكي على كتفه. اومأ مهدي للشرطي براسه و استدار نحو جدار الرواق. رمى سيكارته التي اشعلها توا و اطفاها بحذاءه. وقف الشرطي على مسافة امتار قليلة يراقب الرواق الخالي الا من الانارة الكئيبة. و المشبع برطوبة الجدران.

بسرعة. فتح مهدي تطبيق الرسائل النصية و كتب كلمات قليلة. و بيدين عرقتين. كتب رقم مستلم كان يحفظه جيدا. وأتم الارسال.

متاكدا من تقرير التسليم. مسح مهدي الرسالة و تقدم الى الشرطي مسلما اياه النقال. بابتسامةٍ تنم عن شكر. رافقه الى الممر المؤدي الى غرفة العميد مدير المبنى.

في غرفة مها التي كانت تغط في نومٍ عميق. ومضت شاشة النقال الصامت معلنةً وصول رسالة ثانية. لكنها من رقمٍ غريب هذه المرة. كانت الرسالة قصيرة جدا..

"مها. انا الاستاذ *مهدي*. لقد اغتالوا *الرئيس*".

الفصل 5

كان الرجل الممتلئ القوام ذو البدلة الانيقة يجلس وحيدا في غرفته ذات الجدران الخشبية، ممسكا بجهاز الريموت كنترول و يتابع شريطا يعرض محتواه على التلفزيون الذي يتوسط غرفته. كان دخان السيكار الفاخر الذي ينفثه يشوش بعضا من وضوح صورة التلفاز في وسط الانارة الخافتة في تلك الغرفة. اعاد ذو البدلة الانيقة المشهد اكثر من مرة بارجاع الشريط الى الثانية المطلوبة. لم يكن يجلس وراء مكتبه كما هو معتاد، بل جلس على كرسي عادي يقابل التلفزيون. ارتشف قهوته بعينين لا تفارقان المادة المعروضة على التلفاز. اطفا سيكارته البنية ووضع فنجان قهوته على المنضدة. كان الضوء الصادر من التلفاز ينعكس على شعره الرمادي نصف الاشيب.

مرت عشر دقائق اعاد فيها صاحب البدلة الانيقة المشهد اكثر من سبع مرات، بدا في انعكاس عينيه مستطيل التلفاز وبداخله ملامح رجل و كانما ثبتت الكاميرا عليه، كانت عينا ذو البدلة الانيقة تضيقان كلما تحدث الرجل في التلفاز بالكلمات التي تعاد على الشريط...
بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه..

هز الرجل راسه، وضع الريموت كنترول على الطاولة، وسمح للشريط بالاستمرار.

الفصل 6

في بـاب غرفـة مدير المبنـى، كان مهدي يقف على مسـافة قريبة مـن رجل الامن الـذي خطا باب الغرفـة مؤديا التحية للعميد، خرج مشـيرا لمهدي بالدخول، دخل مهـدي غرفة العميد بينما غادر رجل الامن المكان، كان العميد يجلس وراء مكتبه و يتحدث بالهاتف الداخلي، هز راسـه لمهدي مشـيرا له بالدخول، اوما له ليجلس على الاريكة، بدا و كانه يحدث من هو اعلى منه رتبة.
"نعم سيدي، سنتخذ الاجراءات كما امرت تماما، ان شاء اللّه.. اللّه معك..".

اغلق العميد الهاتف و تناول علبة سـجائره، اخرج احداها و عرضـها على مهدي، "لا اغير سجائري !"، قال مهدي و هو يسحب علبته من جيب سترته.

اشـعل العميد سيكارته و نظر الى مهدي، "اسـتاذ، اطلعت على ما حدث ؟"، قال العميد، "نعم سـيادة العميد، بصراحة لا يمكن للامر الا ان يكون تقصـيرا من ادارة المبنـى، كان من المهم متابعة صـحته"، قال مهدي، نفث العميد الدخان و ضـاق اتسـاع عينيه، اثناء ذلك، دخل رجل امنٍ و القى التحية، هز العميد راسـه آذناً، قال رجل الامن: "سيدي، النقيب فاضل ارسل لكم نقال المحامي كما امرتم".
"طيـب، هاتـه..."، قال العميد و هو ينفض سـيكارته في منفضـة ممتلئة باعقاب سـجائره السـابقة على مكتبـه، دخل رجل الامن و سـلم النقـال للعميد و عاد ادراجه، ادى التحية و خرج من الغرفة.

نظر العميد الى نقال مهدي وهو يقلبه في يده، قال:
"آسـفٌ على الامـر، لكن اعتقد انهـا اجراءات ضرورية في وضـع مشـابه، ان نمنع اتصالك بالعالم الخارجي حاليا على الاقل، استاذ !".
قال مهدي: "طيب سـيادة العميد..."، اخذا نفسـا من سـيكارته، "افترض ان نقالي

سيبقى معكم، كيف بالامر ان تحدثت لاحدهم في الخارج عما شاهدته ؟"، قالها ليستفزه..

"اننا واثقون من انك لن تتحدث الى احدهم، لانك ستقضي الليلة *هنا* !".

شعر مهدي بالصدمة و هو يسمع ذلك من مدير الشعبة الخامسة..

هنا ؟؟ اين ؟!

"هذه اوامر السيد اللواء مدير المخابرات العامة، ستبقى هنا حتى تحدد المخابرات موعد الافصاح عن الموضوع، عندها فقط سيكون بامكانك الخروج"، اكمل العميد.

حدق مهدي الى العميد بغضبٍ و عدم قدرةٍ على الرد في آنٍ واحد، اخذ نفساً من سيكارته و نظر اليه مجدداً وقال: "سيادة العميد، لا يمكنني ان اقضي ليلتي في مبنىً كهذا، بامكاني ان اعدك.."..

"اسف استاذ !، بالمناسبة ساغلق جوالك الان، و صدقني، حالما تخبرني السلطات بالافراج عنك، سافعل.."، قال العميد مقاطعاً.

بالرغم من كون جهاز النقال الخاص بمهدي مغلقاً برمز سري، ضغط العميد على زره الجانبي، ولمس باصبعه الخيار الاول، و اطفأ الجهاز..

"سيادة العميد، بالافراج عني او بدونه، سيعلم الناس ما حدث هذه الليلة في هذا المبنى قريبا، و سيحاسب المقصر، اقسم لك !"، قال مهدي وقد اعتراه الغضب.

"اتمنى ان نطلع على نتائج التحقيق قريبا، استاذ"، انهى العميد كلماته بهدوء، و طرق على الجرس على مكتبه، دخل رجل الامن ذو البندقية الالية و مسدس التسعة مليمترات و ادى التحية، اطفأ العميد سيكارته و قال: "اسمع، اذهب فوراً و اجعل الضابط المسؤول عن الغرف يجهز غرفة قرب غرفتي، و تاكد من توفر

التدفئة و الاغطية"، رد الرجل: "حاضر سيدي"، ادى التحية و انصرف لينفذ الاوامر.
سحب العميد جهاز الارسال من مكانٍ على مكتبه..
" 3ج الى 3 د، كيف تسمعني اجب ؟"، قال العميد و هو يضبط صوت الجهاز.
"3 د الى 3 ج، اسمعك عالي واضح ارسل"، صاح الجهاز بعد نوبة من الضوضاء.
"3 د، توجه الى مكتب المدير فوراً".
" 3 ج استلمت"، اجاب الجهاز.
رد العميد باخر كلمات الاتصال: "3 د.. انتهى !"، و وضع الجهاز على المكتب.

مطفأً سيكارته في المنفضة المقابلة، رفع مهدي العلي عيناه عن ساعة يده التي كانت تشير الى الثانية و خمس و اربعون دقيقة صباحا من اسوأ الليالي التي مرت عليه في حياته، شعر بالغضب و الحزن في آنٍ واحد، ود لو انه كان قد قُبل بكلية الاعلام كما يود لنفسه و اصبح اعلاميا بعيدا عن كل هذه المتاعب، لكن ارادة والده كانت اشد تاثيرا على خياراته، فهو الذي دفعه الى كلية القانون وأوصاه باكمال دراسته القانونية، وبعد رحيل الاب، اكمل مهدي طريقه ليحصل على الماجستير، فيما يعد الان للتحضير لشهادة الدكتوراه.

تذكر مها و علاقته بها، ربما لو انه كان استاذا في كلية الاعلام الان لما تعرف اليها، كلا ! الاقدار تلاقينا بالاشخاص الذين لهم تاثير على حياتنا دوما !، كانت مها تجمع بين جمال الشكل و سعة العقل في وقتٍ واحد، كما انها فتاةٌ عملية، فبنيت العلاقة بينها وبينه على اساس الدراسة و مجال القانون خصوصا، اما هو، فقد كان عمليا هو الاخر، ولم يكن حواره معها يخرج عن نطاق الدراسة و بحث تخرجها و الاحداث السياسية على مسرح احداث البلاد.
هل قرأت الرسائل الان ؟
قال في نفسه، ولوهلة، شعر بدفقة كبيرة من الدم تندفع الى راسه..

هل ستخبر احدا بما اخبرتها عنه ؟!. وقد منعتُ من الافصاح عن اي شئ من قبل السلطات ؟

بدأ يقنع نفسه بانه اخبر طالبته بموت الرئيس السابق للبلاد في سجنه كي تعلن ذلك اذا ما اصابه مكروه داخل المبنى الذي هو فيه الان كونه محامٍ لذلك الرئيس. لكن وسواسا كان يخبره بان مها قد تفضح الموضوع قبل اوانه. و تتسرب الشائعات و تنقلب وسائل الاعلام. و يصبح هو هدفا لتحقيقات طويلة حول تسريب المعلومة. خصوصا و ان مها عضو مجلس اتحاد الطلبة بكليتها و يعلم الجميع بالتقارب بينها و بين استاذها.. محامي الرئيس السابق.

اعاد تطمين نفسه..

لن تخبر احدا. ستحتاج للاتصال بي مجددا للتاكد من المعلومة قبل الوثوق بها!. ثم انها قانونية. ستعرف كيف تتصرف !

قاطعا سلسلة افكاره. ضرب الضابط الذي دخل غرفة المدير الارض ليؤدي التحية له. رمق مهدي بنظرةٍ جانبية. لمس مهدي معصمه الايمن بيده اليسرى. متذكرا اعتصار هذا الضابط لها. "لا استطيع ان اعدك بابقاء ذلك سرا"..."بل ستفعل !".

كان النقيب هو 3 د الذي ارسل العميد بطلبه. نفسه الذي اشرف على ادخال مهدي الى الزنزانة. وصادر جهاز نقاله. النقيب فاضل..

"نقيب فاضل. امرت بتهيئة غرفة للاستاذ مهدي. اتمنى ان تكون قريبا منه اثناء المبيت للنظر في احتياجاته..". قال العميد.

شعر مهدي بان النقيب سيكون حارسا عليه طوال فترة تواجده داخل الشعبة الخامسة. هز النقيب راسه و اشار لمهدي بالنهوض. نهض مهدي من مكانه و نظر الى العميد. استدار نحو الباب. قال له العميد: "تصبح على خير. استاذ"!. لم يجب مهدي و مشى نحو فاضل.

كانت غرفة اقامة مهدي في نفس رواق غرفة مبيت العميد.

الحمد لله انه لم يامر بان اقضي ليلتي في زنزانة !

سار مهدي مع النقيب باتجاه رواقٍ سيقضي ليلته في احدى غرفه.

في الغرفة ذات الجدران الخشبية، كان الرجل ذو البدلة الانيقة قد تسلم للتو وحدة ذاكرة متنقلة Flash RAM، بدا ينظر اليها في يده، اطفأ التلفاز بجهاز الريموت كنترول و نهض من كرسيه ليجلس خلف مكتبه، حرك اصبعه على لوح الفأرة على جهاز الحاسب المحمول، اومضت الشاشة، وضع وحدة الذاكرة في الجهاز و اشعل سيكارةً بنيةً اخرى.

الفصل 7

وصـــل النـقيب فاضـــل و المحامي مهدي الى رواق ذو غرف بابواب خشـــبية، ســـمعا صوتا من خلفهما.
"سيدي!".
التفتـــا الى الخلـــف، كان قد اقترب منهما ضـــابط شـــاب برتبة مـــلازم، ادى التحية للنقيب وقال: "ســـيدي، غرفة الاســـتاذ جاهـــزة كما امر الســـيد العميد و ابلغني بتسليمك اياها، دعني اوصلك اليها"..

مشـــى المـــلازم في المقدمة، و اخـــرج من جيبة مجموعـــة مفاتيح، توقـــف امام باب خشـــبي رمادي، وبـــدأ يختار المفتاح المناســـب، و الى الخلف منـــه كان النقيب يقف متخصرا فيما راحت عينا مهدي تتجولا في سقف و جدران ذلك رواق في ذلك المبنى الكئيب.
فتح الملازم الباب، ومد يده ليشـــعل الانارة، تقطع الضوء في الغرفة قبل ان يستقر مشـــتعلا بفعل النيون، كان في الغرفة سرير مغطى بملاءة بيضـــاء و عليها بطانية خضراء وضعت بشكل مرتب، و الى جانب راس السرير كان هناك دولاب حديدي، و في الجدار وضـــع جهاز تكييف خلع عنه وجهه و بدت شرائطه الحديدية ظاهرة، مشى نحوه الملازم و شغله على التدفئة، فاصدر صوت الضاغط هديرا عاليا.

اشـــار النقيب لمهدي بالدخول، دخل مهدي الغرفة و اســـتدار ينظر الى النقيب، هز له راســـه، قال النقيب: "ان احتجت شـــيئا فاخرج الى الرواق، ستجدني في نهايته او تجد احد افراد الحماية، الحمامات بجانب الغرفة المجاورة من الجهة التي اتينا منها"، شكر مهدي النقيب، خرج الملازم من الغرفة و اغلق النقيب الباب و مضيا يتحدثان معا.

كان الرواق الذي يضم غرفة مبيت مهدي مكون من ابواب خشبية على الجانبين، على الايمن غرف متجاورة، اما على الايسر فكانت الحمامات اولا ثم غرفتين متجاورتين، يقضي مهدي ليلته في الثانية، اما في نهاية الرواق فكانت هناك باب خشبية يتوسطها زجاج مموه، و هي غرفة مبيت المدير.

رغم صوت جهاز التكييف، كان مهدي لا يزال يستمع الى اصوات نداءات اجهزة الاتصال في نهاية الرواق، فالصدى ينعكس بسهولة في هكذا ممرات ذات ارضية خرسانية ناعمة و يلفها هذا القدر من الهدوء، جلس مهدي على سريره و خلع سترته، كان السرير مجاورا للحائط في غرفة ذات مقاسات صغيرة نسبيا و تخلو من اي اثاث عدا السرير و الدولاب الحديدي، شبك يديه خلف راسه و اتكا على الجدار، تذكر ما مر به من الاحداث هذه الليلة..

اغتيال رئيس الجمهورية السابق في شعبة مخابرات الدولة !

شعر بانه وسط دوامة من التفكير، حاول ان يتذكر اخر لقاء له كمحامٍ مع الرئيس في السجن، كان ذلك قبل اسبوع تماما، طلب لقاء موكله و سمحت لهً السلطات، كان الرئيس معتقلا في سجن داخل المنطقة الخضراء الرئاسية ببغداد قبل ان يتم نقله الى هذا المكان يوم امس كما قال العميد مدير المبنى، كان لقاء مهدي بالرئيس قصيرا فلم يتجاوز الخمس عشرة دقيقة قبل ان ينتهي بطلب من افراد الامن في المكان، التقى بعدها الرئيس بالمحامي في اليوم التالي في جلسة المحكمة و التي كانت لقائهما الاخير، بث التلفزيون الحكومي المحاكمه علنيا مع حذف بعض المشاهد، الى جانب ان مهدي لم يكن يظهر في المحاكمات، فما كان يظهر فيها هو صوته فقط.

كان صوت جهاز التكييف داويا في اذني مهدي، استغرق في تذكر لقاءه الاخير المنفرد مع الرئيس، اغمض عينيه و شعر بدفء المكان، تراخى جسده على السرير، فيما راح ازيز النيون يعزف لحنه على اذنيه هو الاخر.

في تلـك الاثنـاء، وفي غرفته ذات الجدران الخشـبية، وضـع الرجـل ذو البدلة الانيقة نظارته الطبية فانعكسـت امامه صـورة الرقم 39 الاخضر على عدسـاتها، بدا يقلـب الصـور امامه على الحاسـب المحمول، مرت عشر صـور مـن زوايا مختلفة لزنزانـة ظهـرت فيها جثة ممددة على سريـر و رقم اخضر على الجـدار، اعاد تقليب الصور راجعا، اغلق الصورة الاخيرة و اخرج وحدة الذاكرة الـFlash RAM من جهاز الحاسوب و وضعها في الجيب الداخلي لسترة بدلته الانيقة، طوى الشاشة، ثم اخذ نفساً من سيكارته البنية.

الفصل 8

كانت لا تزال جثة الرئيس القتيل محمد المختار على حالها، ذراعها اليمنى متدلية من طرف السرير، و يعلوها الرقم 39 على الجدار، الانارة البيضاء تسطع على الجثة من سقف الزنزانة، بدت شفتا الجثة بيضاوين وعيناها غائرتين، اقترب هو من وجهها ببطء حتى اصبحت اقرب الى عينيه، بدا كل شئٍ حول الجثة ضبابيا، كان الصمت يطبق على المكان و الجمود ينتشر على تعابير وجه الجثة، بدا كأن كل شئ يسير بالتصوير البطئ، و فجأة، فتح الرئيس محمد المختار عينيه من موته الغامض، فتحها كمن يصحو من كابوس قاتل، فغر فمه و اخذ نفسا عميقا عائدا الى وعيه، بدا يتنفس بسرعة، تدورت عيناه و جحظت، بدأ صوت تنفسه يتسارع، حدق مرتعدا خوفاً، ازداد رعب الميت الصاحي شيئاً فشيئا، صارع انفاسه اكثر، ارتفع حاجباه و اتسعت عيناه كمن يريد الصراخ، رفع ذقنه الى الاعلى قليلا و هو يسحب اكبر قدر ممكن من الهواء، ابتل جبينه بعرق غزير، و بانصاف انفاس بالغة السرعة بدا صوتها كطرقٍ على الخشب، ارتفع لسانه لينطق، و برعبٍ هائل، نطق الرئيس كلماته:
"سينهار كل شئ..!"..
بصدرٍ يعلو و ينخفض بسرعة، بدا يصرخ و فمه يتسع اكثر، "سينهار كل شئ.."، رفع الرئيس يديه من جانبيه وامسك به من ملابسه بشدة، صاح مجددا بعنف"سينهار كل شئ..!"، شد ملابسه اليه بقوة و صرخ في وجهه:
"مهـــــدي !".

برد فعلٍ قوي و مفاجئ، كور مهدي نفسه بشده و فتح عينيه، سحب نفسا عميقا، كان صدى اسمه يتردد في المكان، نظر حوله، الدولاب الحديدي، ضوء النيون، جهاز التكييف، لقد افاق تواً من كابوسٍ مرعب، لكن الصوت عاد مجددا:
مهدي !

كان ياتي من جهة الباب الخشبي للغرفة، ادرك انه في غرفته بمبنى الشعبة الخامسة، لقد كان في ذلك الكابوس في حالة اللاوعي يستمع الى انفاس الرئيس بصوتها الغريب الشبيه بطرق الخشب، ذلك الصوت كان طرقات احدهم على باب الغرفة، و صراخ الرئيس باسمه كان في الواقع صادرٌ من الطارق الذي نادى باسمه بعد ان طرق الباب عدة مرات بلا رد.

نظر الى ساعته، كانت تشير الى الخامسة و الربع صباحا، نهض الى الباب و هو يفرك عينيه، جذب مقبضه الى الاسفل، اصدر الباب صريرا.
كان النقيب فاضل واقفا في الباب و قد بدت على وجهه تعابير غاضبة نوعا ما:
"طرقت مطولا استاذ مهدي !"، قال النقيب.

"آسف، لقد كنت مستغرقا في النوم"، رد و هو يحاول فتح عينيه بكل اتساعها ليطرد منها النعاس.
"طيب استاذ، ارجو جلب سترتك معك، مدير الدائرة ارسل بطلبك"، قال النقيب.
اعاد مهدي النظر الى ساعته، الخامسة و الربع صباحا، استدار راجعا الى السرير، حمل سترته و عاد باتجاه النقيب، اغلق النقيب الباب وراء مهدي و اتجها نحو الرواق، نحو غرفة العميد مدير المبنى.
سائرين في الرواق، كان مهدي يسترجع بذاكرته كلمات الرئيس التي سمعها في ذلك الكابوس..
سينهار كل شئ .. مهدي!

انعطفا انعطافهما الاخير نحو غرفة المدير، ووصلا الغرفة بعد خطواتٍ قليلة، ولج النقيب اولا الغرفة، ادى التحية و التفت الى مهدي مشيرا له بالدخول، دخل مهدي الى غرفة العميد حاملا سترته الرمادية على ساعدة الايمن، كان العميد جالسا خلف مكتبه و يتصفح ما بدا انه ملف، رفع عينيه و نظر الى مهدي،

"استريح استاذ". قال العميد قبل ان يعود للنظر في الملف بيده. جلس مهدي على الاريكة، و اغلق العميد الملف واضعا اياه على مكتبه.

-"اولا، انا اسف مجددا على ما جرى لك هذه الليلة استاذ !"، قال العميد، طوى مهدي شفتيه وهز راسه و هو يشيح بعينيه عنه، اكمل قائلا: "اردت ان اسالك عن حالة موكلك الصحية، كما تعلم فقد تم نقله الينا يوم امس و لم يتسن لي مراجعة ملفه الطبي الذي ارفق معه، لقد بدات بتصفحه منذ دقائق فقط"، رفع الملف بيده امام مهدي، "اطلعني على ما لديك عن صحة المتهم ؟"، اكمل العميد، نظر مهدي اليه و قال:

"سيدي، موكلي يعاني من حساسية تنفسية من الغبار و بعض العطور، لا يستطيع تحملها اذا كانت بنسبٍ عالية في الهواء، يؤدي ذلك الى اصابته بنوبة سعال حادة، كما ان لديه حساسية من مادة الصوف، فملامسته له يشعل لديه حالة من التحسس الجلدي المفرط، خصوصا في اشهر الشتاء من السنة، و يتهيج جلده بفعل هذه الحساسية عند ابداء اي نشاط عصبي من قبله"، اتكأ واكمل: "لذا، ففي بعض الاحيان كنت اقابله في زنزانته في المنطقة الخضراء و هو يرتدي ملابسه الداخلية فقط بسبب اجهزة التدفئة في السجن رغم برودة الجو في الخارج"، قطب العميد حاجبيه: "اي شئ اخر ؟".

اردف مهدي: "كلا، لم؟ هل اتضح اي شئ بخصوص وفاته ؟".

اجاب العميد: "لا، ليس بعد، مجرد اردت التعرف على وضعه الصحي".

شعر مهدي بخيبة امل، هز راسه و حدق في الارض، شبك العميد اصابعه و اتكا على كرسيه و قال:

-"على اية حال، وددت اعلامك باننا تلقينا اتصالا من السيد اللواء مدير المخابرات العامة امر فيه باخلاء سبيلك !"، نظر مهدي بشغف الى العميد، الان ؟

مـد العميد يـده الى الدرج في مكتبـه، اخرج منه جهاز نقال مهدي، "ستوصـلك سـيارة المديرية الى منزلك الان"، نظر مهدي الى العميد غير مصـدق، جال في عقله السؤال الاكبر:

هل ستفصح السلطات عما حدث ؟

اغمض عينيه لبرهة، ثم نظر الى العميد قائلا: "طيب سـيدي سـاكون ممتنا !"، رد العميد و هو يقدم النقال الى الامام بيده: "تفضـل جهازك، ناسف لوفاة موكلك، و اعدك بالبحث عن السبب".

نهض مهـدي الى مكتـب العميد، وقف الاخير و سـلم النقال اليـه، اخذ مهدي جهازه وشغله واضعا اياه في جيب بنطاله وعاد نحو الاريكة، طرق العميد الزر على مكتبه، دخل رجل الامن ذو البندقية و المسـدس و ادى التحية، قال العميد جالسا على كرسيه: "ناد لي على الملازم اول هشام"، استدار رجل الامن و ذهب لينفذ.

مد مهدي يده نحو علبة سـجائره في جيب سرته الرمادية التي كانت بجانبه على الاريكة، عاد العميد يطالع الملف الطبي للمتهم محمد المختار، نظر اليه مهدي و اشعل سيكارته، و اتكا على الاريكة، ثم شردت عيناه تنظران نحو السقف..

ليت والدي كان حيا ليشهد ما حدث !

قال ذلك مع نفسـه، تذكر بداياته و كيف اصبح محاميا للرئيس المختار، كان والد مهدي مستشارا للرئيس للشؤون الاقتصادية، تسلم منصبه فور تسلم الرئيس المختار رئاسـة البـلاد قبل عشر سـنوات، كان مـن اخلص رجال الدولـة للمختار وبرنامجه، لكنه توفي بعد ثلاثة اعوام من توليه المنصب، تاركا الرئيس يحكم سبع سـنوات اخرى من دونه، كانت علاقة الرئيس بوالد مهدي قوية الى حد الصـداقة، اطلـع اثنائهـا الرئيس على اخبار ابن مستشـاره "مهدي" و محور عمله كاسـتاذ جديـد انـذاك في كلية القانون وكإبـنٍ لا يقل وطنية عن والده المستشـار، كما ان مهـدي التقى مرتـين بالرئيس اثناء وجـود والده في منصـبه، كان ذلك في الذكرى

السنوية الاولى و الثانية لتسلم الرئيس حكم البلاد. حيث كانت تقام موائد العشاء في القصر بالمناسبة. و التي يحضرها عادةً رجال الدولة الاقرب للرئيس و بعض افراد عوائلهم.

كان مهدي يخوض نقاشات قصيرة مع الرئيس على هامش تلك الحفلات. و طالما بدا الرئيس معجبا بطموح مهدي في الوصول الى القمة ضمن عمله كقانوني. رغم تاخره في الحصول على شهادة الدكتوراه في القانون حتى ذلك الحين.
وثق الرئيس بوالد مهدي جدا. و بعد وفاة الاخير. استمر الاتصال بين الرئيس و مهدي عبر دعوة القصر له لحضور الحفلات السنوية اللاحقة. او عن طريق ارسال الرئيس لباقات ورد الى مهدي في الذكرى السنوية لوفاة والده المستشار و بشكل منضبط. مرفقةً بنعي و مذيلةً بتوقيع الرئيس المختار.

لاحقا. اصبح مهدي قانونيا بارعا. وهو لا يزال – كما والده – محط ثقة الرئيس الذي حكم لولايتين من اربع سنوات لكل منهما. وولاية ثالثة حكم فيها سنتين فقط بسبب سحب الثقة عنه من قبل البرلمان الذي اتهمه بقضايا فساد و اختلاس. اعقب ذلك اصدار المحكمة الاتحادية العليا امرا باعتقال الرئيس وايداعه السجن للنظر في تلك الاتهامات. فطلب الرئيس من المحكمة مراسلة المحامي مهدي العلي ليترافع عنه. و بوطنية لا تقل عن وطنية والده. لبى مهدي طلب الرئيس. و ترافع عنه طيلة فترة المحاكمات التي استمرت لثلاثة اشهر دون التوصل لنفي او اثبات الاتهامات الموجهة للرئيس. قبل ان يتم نقل المتهم من سجنه في المنطقة الخضراء الرئاسية الى مقر الشعبة الخامسة.

دخل الضابط الاصلع ذو الشاربين الكثين الى غرفة المدير وادى التحية. الضابط الذي اتى بمهدي من حي زيونة الى مقر الشعبة الخامسة. قال العميد: "ملازم اول هشام. ستاخذ معك السيد المحامي الى محل سكناه".

اومأ الضـــابط قائلا: "نعم سيدي". اكمل العميد: "تاكد من ايصاله بسرعة. فهو متعب هذه الليلة !". هز الملازم اول هشام راسه.

مطفـاً ســيكارته. نهض مهدي و ارتدى ســترته. نظــر الى العميد و قال: "شــكرا سيدي. سنتواصل لاحقا بخصوص ماحدث".

ابتسم العميد: "بالسلامه استاذ".

خرج مهدي مرافقا الضابط الاصلع الى خارج الرواق. ثم الى باحة الشعبة الخامسة حيث تنتظره سيارة الشيفروليه.

الفصل 9

في غرفة المراقبة التي ترتبط بها عشرات الكاميرات الموزعة في اروقة و زنازين الشعبة الخامسة. كان الضبع لا يزال جالسا امام احد اجهزة الحاسوب المرتبطة بمنظومة المراقبة. بدا مرتبكاً و هو ينظر الى الفتحة الضيقة للباب و المطلة على الرواق. لم يكن في غرفة المراقبة غيره. فقد انشغل اعضاء الغرفة الاخرين بتلبية استدعاء طارئ للعميد مدير المبنى. نظر الى ساعته. ثم نهض و اتجه نحو الباب بقلق. فتح الباب اكثر قليلا و القى نظرة على الرواق الذي كان خاليا تماما. اعاد تضييق الفتحة. رجع الى جهاز الحاسوب محدقا بشاشته. ركز نظره على شريط النسخ الاخضر..

نسخ – اربع دقائق متبقية

جلس على الكرسي المقابل للجهاز. وبدا يطرق باصابعه على المنضدة وهو يتابع سير شريط النسخ الاخضر..

اسرع ارجوك !

كانت اجهزة الحاسوب و المنظومات الخاصة بالكاميرات موضوعة على طاولة طويلة بالتتابع. حيث يجلس افراد غرفة المراقبة امام شاشات اجهزتهم. وفوق تلك الاجهزة كان هناك صف من النوافذ الصغيرة المستطيلة الشكل تطل على الرواق الخارجي. بينما وضعت الى الاعلى منها الوحدات الداخلية لاجهزة التكييف التي توفر الحرارة المناسبة للغرفة و الاجهزة الالكترونية بداخلها.

ثلاث دقائق متبقية

ازداد ارتباك الضـبع وهو يتابع نسـخ المحتوى الظاهر على شاشة الحاسوب، اسرع بطـرق اصـابعه على المنضـدة، و فجأة، انطفأت الشاشـة خافيـةً معها شريط النسـخ، تحولت الى شاشـة سوداء صـامتة، فانعكس وجه الضبع على زجاجها، نظـر الى وجهه المنعكس على الشاشـة، بـدا الجرح القديم البـارز على خده الايمن واضحا فيها، بينما انعكس ضوء الغرفة على العرق الغزير الذي بلل جبينه وراسه الاصـلع، حـرك الفارة بيده، فعادت الشاشـة للعمل بعد ان دخلت بوضـع حفظ الشاشة المؤقت..

دقيقتان متبقية

اثناء ذلك، سـمع وقع اقدام قادمة من الرواق باتجاه غرفة المراقبة، بسرعة، اسـتدار بكرسيه الدوار نصف دائرة، نظر الى الشاشة الرئيسة التي تتوسط غرفة المراقبة و التي كانت مقسمة الى ثمان مربعات بداخل كل منها صورة حية لاحدى كاميرات المراقبة في المبنى.

نظـر الى مربع الكامـيرا الموجهة نحو الرواق، بدا صـوت الاقدام القـادم من الرواق منسـجما مع خطوات الشـخص الظاهر على الشاشة، اتسـعت عيناه، و اندفع الرعب الى نفسه.

.....

توقفت سـيارة الشـيفروليه امام منـزل المحامي مهدي في حـي زيونة، مد مهدي يده نحو عتلة باب السـيارة هامّاً بالنزول منها، التفت اليه الملازم اول هشام قائلا: "استاذ، هناك امانة يجب ان تستلمها قبل المغادرة"، ضاقت عينا مهدي و نظر الى الملازم الذي اخرج من سـترته الرياضية كيسا شـفافا يحتوي ثلاثة اقراص ليزرية، استدار هشام نحو مهدي الجالس في المقعد الخلفي، "تفضل !"،

تسلم مهدي حزمة الاقراص و نظر فيها. فتح الكيس فوجد بين الاقراص ورقة مطوية. اخرجها و فتحها. كان قد كتب عليها:

(التسجيل الكامل لجلسات محاكمة المتهم محمد المختار – نسخة المحامي مهدي العلي).

نظر مهدي الى الملازم اول هشام و قال: "لكنني امتلك النسخة الكاملة حتى اخر جلسة !".

رد هشام: "افضّل لك لاطلاع على هذه النسخة".

كان مهدي حاضرا جميع جلسات المحاكمة التي ترافع فيها عن موكله.

هل فاتني شئ منها ؟؟

اغلق مهدي الكيس و استعد للترجل من السيارة. "طيب. شكرا لايصالي". قال وقد فتح الباب. "على الرحب و السعه استاذ". رد هشام. نزل مهدي من الشيفروليه و اغلق الباب. توجه نحو باب منزله. فيما اشار الملازم اول هشام للسائق بالتحرك. تحركت الشيفروليه مغادرة شارع منزل مهدي. نظر الاخير الى ارقامها الحكومية تبتعد. ثم استدار ليفتح باب منزله.

في الغرفة ذات الجدران الخشبية. رن الهاتف المحمول للرجل صاحب البدلة الانيقة.

رسالة جديدة.

الفصل 10

دقيقة واحدة متبقية

ازداد ارتباك الضبع و هو يشاهد اقتراب احدهم من غرفة المراقبة. التفت الى شاشة الحاسوب. لا يزال الشريط الاخضر في طريقه لانهاء نسخ المحتوى. نظر الى الرواق من الفتحة الضيقة للباب. بدا الظل المنعكس على بلاط الرواق. و اقترب وقع اقدام الرجل في اذنيه.

30 ثانية متبقية

التفت باحثا عن مكانٍ ممكنٌ ان يختبئ فيه داخل الغرفة. لم تكن غرفة المراقبة تحوي خزائن او رفوف عالية.

لا ملجأ لي في الداخل !

اعاد النظر نحو الرواق من فتحة الباب الضيقة. بدا الرجل كشبحٍ اسود لدى مروره في منطقة مظلمة من الرواق المقسم الى مناطق مظلمة و اخرى مضيئة بسبب توزيع المصابيح في سقفه.

لن افلت !

لا ملجأ في الداخل. ولا مجال للهروب الى خارج الغرفة عن طريق الرواق. عرف الضبع ان تلك ستكون لحظة فضح ما قام بفعله. و كمن سيخسر كل شئ. مد يده نحو خصره. و تلمس مسدسه منتظرا دخول الغريب الى الغرفة.

القى مهدي بنفسه على سريره منهكا من ليلته في الشعبة الخامسة، مستلقيا على بطنه، نظر الى كيس الاقراص الذي رماه على الطاولة المقابلة لسريره، بدا يشعر برغبة في الاطلاع على مضمونها، لكنه لم يكن قادرا على الحراك، ثقل جفنيه، و استسلم لنومٍ عميق.

الفصل 11

السادسة الا الربع صباحا.

قريبا من غرفة المراقبة وفي المنطقة المظلمة من الرواق، اصبح الرجل الغريب قريبا جدا من باب الغرفة، اثناء مروره، توقف لوهلة، لاحظ الضوء الصادر من الغرفة عن طريق فتحة الباب الضيقة، كان يبدو كشبح يتحرك في رواقٍ منعزل كبيت اشباح، وفجأة، خطى بسرعة كبيرة نحو الغرفة، تحرك بسرعة خاطفة نحو الباب، امسك بمقبضه و فتحه بقوة، تفاجأ برؤية الضبع هكذا امامه، و اتسعت عيناه وهو ينظر اليه...

كان الضبع يجلس بكل هدوء خلف جهاز الحاسوب وقد شبك يديه خلف رأسه، نظر الى الرجل الواقف على الباب وقال: "سيدي نقيب فاضل ! هل لا زلنا في حالة الانذار ؟".

دخل النقيب فاضل الغرفة، نظر اليه بحزم و رد: "ماذا تفعل هنا ؟".

قال الضبع: "هناك مشكلة تقنية في جهاز الحاسوب هذا، و هو بحاجة الى عملية مسح و تنصيب لنظام التشغيل".

قال النقيب: "و في هذا الوقت ؟".

رد الضبع ضاحكا: "لا تؤجل عمل اليوم الى غد، تعلم ان هذا شعاري، كما ان مناوبتي مستمرة الى التاسعة صباحا"، قالها مبتسما و الضوء يلمع على اثر الجرح في خده الايمن وقد بدت عيناه تبتسمان ابتسامةً ماكرة، نظر النقيب فاضل الى جهاز الحاسوب، لم يكن هذا الجهاز مرتبط بمنظومة المراقبة، حدق بشاشته، كانت صورة الشاشة سوداء وقد امتلات بنصوص انكليزية بيضاء، و في اخر سطر من تلك السطور ظهر عداد النسبة المئوية وهو يواصل صعوده نحو المئة بالمئة.

التفت فاضل الى الضبع الذي بدا ناظرا الى الشاشة امامه و يحرك نفسه على كرسيه الدوار.

"ضبع، ستؤجل عملية صيانة هذا الجهاز الى يوم غد عندما تلتحق مجددا".

نظر الضبع الى فاضل وقال باستغراب: "لكنني على وشك البدء بعملية المسح!".

قال النقيب: "قلت لك، اترك غرفة المراقبة فورا !".

هز الضبع كتفيه مستهجنا، ظهر نص على ذيل الشاشة:

(Y,N)؟

طبع الضبع N وضغط مفتاح Enter، الغيت عملية المسح.

اطفأ الضبع الجهاز و اخذ القرص الليزري الذي يحوي نسخة نظام التشغيل و الذي كان موضوعا على الطاولة، نهض مغادرا الغرفة، تبعه فاضل خارجا، و اغلق باب الغرفة و اقفلها.

"اراك بخير سيدي".

قال الضبع، هز فاضل راسه و اتجه في الاتجاه المعاكس للضبع في الرواق.

كان النقيب فاضل يعلم بالقدرات الحاسوبية الخارقة التي يتمتع بها الضبع، فقد اسماه رفاقه بهذا الاسم لعبقريته في التعامل مع الحاسوب، اضافة الى عمليات القرصنة و الاستيلاء على الحسابات الشخصية على الانترنت، حيث يعمل الضبع كضابط اداري في وحدة الحاسبة الالكترونية داخل الشعبة الخامسة، ووظيفة هذه الوحدة هي صيانة و متابعة عمل كافة اجهزة الحاسوب داخل المبنى، وقد كان يستدعى من قبل الموظفين اكثر من غيره لاصلاح مشاكل حواسيبهم، لكنه في الوقت ذاته، كان امكر وادهى موظفي الشعبة، عرف بذلك من خلال تعاملاته الشخصيه مع الموظفين، لذلك، كان النقيب فاضل يمقته جدا، حتى انه يعامله بخشونة نوعا ما، الى جانب ذلك، كان الضبع عاشقا لسفرات الصيد البري لرغبته الجامحة في استخدام السلاح و اطلاق النار على الحيوانات.

كان فاضل لا يزال مستمراً بالسير في الرواق مبتعدا على غرفة المراقبة المقفلة، الا انه، وكساعة توقفت عن العمل فجأة، تسمر في مكانه، شعر بحرارة قاتلة تصعد الى رأسه، اتسعت عيناه و ارتفع كتفاه، استدار بسرعة، و بهستيريا مجنونة، راح يركض نحو غرفة المراقبة، ركض باقصى سرعته نحوها على ارضية الرواق الزلقة و هو يبحث عن مفاتيحها في حزمة المفاتيح بين يديه، لم يشاهد النقيب فاضل على هذه الحال المرتبكة من قبل.

في تلك الاثناء، كان الضبع قد انهى زيارة قصيرة لغرفة السير الخاصة بحركة العجلات التابعة للمبنى، و توجه الى الباب الرئيس في طريقه للمغادرة .

الفصل 12

بانفعال كبير، كان النقيب فاضل يفتح باب غرفة المراقبة مجددا و قد بدا عليه الارتباك، مقاوما ارتجاف اصابع يديه، فتح قفل الباب و دفعه داخلا اليها، ذهب الى جهاز السيطرة على الكاميرات، فتح تسجيل الكاميرا المثبتة داخل غرفة المراقبة نفسها، حيث توجد الكاميرا الخاصة بتصوير ما يجري داخل غرفة المراقبة مثبتةً فوق شاشة العرض الرئيسة في الغرفة، جلس امام احد اجهزة الحاسوب المرتبطة بجهاز السيطرة على الكاميرات، وبدأ يشاهد تسجيل الكاميرا الداخلية، بدءا بما جرى قبل 10 دقائق.

ظهر في الشريط اعضاء غرفة المراقبة امام اجهزة حواسيبهم المرتبة بالتتابع، كان كل فردٍ فيهم يجلس امام حاسوبه، عدا الحاسوب الثاني من اليمين فقد كان مطفأً ولم يكن يقابله احد، بينما كان بعضهم يراقب شاشة العرض الرئيسة الموضوعة في الجهة المقابلة لسلسلة الحواسيب، كان بجانب تلك الشاشة على الجهتين عدد من الشاشات الاصغر حجما، استمر فاضل بمتابعة التسجيل، ظهر ان احد العاملين في الغرفة تلقى اتصالا تلفونيا قصيرا، التفت الى رفاقه و تحدث معهم بايجاز، ثم نهض الجميع و قاموا خارجين من الغرفة، بقيت غرفة المراقبة فارغة من العاملين و موصدة الباب نحو دقيقة تقريبا، ثم فُتح الباب و دخل شاب اصلع تميل بشرته الى السمرة الداكنة.

كان الضبع قد دخل و توجه الى جهاز الحاسوب الثاني على المنضدة، جلس امامه و قام بتشغيله، ثم التفت الى الجهاز الاول المجاور له استمر محدقا به، و نهض من مكانه ليجلس امامه، تاركا الجهاز الثاني بشاشة سوداء تقريبا.

تابع النقيب فاضل مشاهدة الشريط. اطال الضبع الجلوس امام الجهاز الاول. بعد قليل نهض الى باب الغرفة. لمسها بيده. ثم عاد ادراجه ليجلس امام الجهاز. بعد قليل. التفت الى شاشة المراقبة خلفه. بدا وجهه في التسجيل واضحا اثناء نظره اليها. ثم بسرعة. انحنى على الجهاز الاول و نهض ليجلس امام الجهاز الثاني. اتكا على الكرسي و شبك اصابعه خلف راسه.

استمر فاضل بمتابعة التسجيل. كان الضبع جالسا كما هو. حينما دخل فاضل نفسه الى غرفة المراقبة بسرعة و اجرى حواره معه.
اوقف فاضل التسجيل. و ترك جهاز السيطرة على الكاميرات و اتجه نحو الحاسوب الاول. حرك مؤشر الفأرة و اجرى عمليات سريعة على الجهاز. و فجأة..
مستحيل!

ضرب جبينه بيده بقوة و قد شعر بصدمة عنيفة. ركض نحو باب غرفة المراقبة وخرج. اقفلها على عجل. استدار راكضا في الرواق و قد بدا بحالة هستيرية. مقاوما جسمه البدين. كان يطلق ساقيه للريح في الرواق. كان اثنان من افراد الامن يمرون في الرواق عندما مر فاضل باتجاههم صارخاً:
"هل رايتم الضبع ؟؟!".
كان يصرخ باعلى صوته. هز احد افراد الامن راسه نافيا. بدا فاضل اشد غضبا و هو يندفع في الرواق. اصطدم كتفه بكتف حارس الامن بعنف و استمر بالركض باتجاه غرفة الخفراء. وصل الغرفة و دفع الباب بقوة وقد بدا وجهه محمرا و العرق باد عليه. كان بداخل الغرفة ضابط شاب برتبة ملازم جالس خلف مكتبه و يقوم ببعض الاعمال الكتابية. تفاجأ باندفاع النقيب فاضل داخل غرفته:
"هل رايت الضبع ؟"قال فاضل لاهثا.
رد الضابط بارتباك وهو ينظر الى جدول مثبت امامه على المنضدة:

"سيدي، على حد علمي فانه يجب ان يكون قد غادر المبنى الان لان مناوبته تنتهي في تمام الساعة السادسة"، اتسعت عينا فاضل..
السادسة صباحا !!

تذكر ماقاله الضبع عن موعد انتهاء مناوبته: "مناوبتي مستمرة حتى التاسعة صباحا"..
اقترب فاضل نحو مكتب الضابط و رفع سماعة الهاتف من عليه، ضغط ثلاثة ارقام لاجراء اتصالٍ داخلي، رن الهاتف في غرفة حماية المبنى الواقعة عند البوابة الرئيسية للشعبة الخامسة، اجاب احد الافراد، قال له فاضل باعصاب مشدودة:
"اسمع، هل شاهدت الضبع خارجاً من المبنى ؟".
رد رجل الامن: "قبل دقائق سيدي، وقد استقل سيارة اجرة !".

جن جنون فاضل، ضرب سماعة الهاتف بقوة بالمنضدة و استدار خارجا من الغرفة و تاركا الضابط بحالة ذهولٍ تام، توجه نحو الرواق الرئيسي و راح يركض حتى وصل الانعطافة الاخيرة نحو غرفة مدير المبنى، وقف ببابها، سحب نفسا عميقا، ثم دخل الغرفة و ادى التحية للعميد بارتباك واضح، كان العميد جالسا خلف مكتبه الذي غادره عناصر غرفة المراقبة الذين انهى لقاءا قصيرا معهم قبل قليل، نظر نحو فاضل و لاحظ الارتباك و العرق على وجهه، قال باستغراب:
"نقيب فاضل ؟ مابك ؟!".
كشر فاضل عن اسنانه وهو يتنفس بسرعة وقال: "سيدي، لقد فعلها الضبع.. لقد اختفى تسجيل كاميرا الزنزانة 12"..

الفصل 13

كان افراد غرفة المراقبة قد عادوا توا من مكتب العميد الى مواقعهم خلف اجهزة الحواسيب بعد ان انهوا لقاءا قصيرا معه، حيث قام العميد بطلبهم بعد ان اقنعه فاضل بضرورة التحدث اليهم بخصوص الحفاظ على سرية ما سجلته كاميرات المراقبة اثناء وقوع حادثة اغتيال محمد المختار، كان العميد يلوح اثناء الاجتماع بالعقوبات الصارمة تجاه فريق المراقبة في حال تسرب اي شريط مما سجلته الكاميرات في تلك الليلة.

"كيف عرفت ذلك ؟"قال العميد لفاضل الذي بدا منهارا.

"سيدي، لقد عدت توا من غرفة المراقبة، اعدت تسجيل شريط الكاميرا الموجودة في الغرفة، لقد كان الضبع يقوم بصيانة احدى الحواسيب، لكنه استغل خلو الغرفة من الافراد فقام بمسح تسجيل كاميرا الزنزانة 12، ثم اختفى من المبنى".

اغمض العميد عينيه و ضغط على اسنانه: "هل تعلم ماذا يعني هذا ؟!".

"نعم سيدي، نحن في ورطة امام السلطات".

نظر العميد الى فاضل و قال:

"كيف سيكون موقفنا امام اللواء ؟، فاضل، اريد تقريرا حول تحركات الضبع هذه الليلة كاملا منذ علمنا بوفاة المختار".

"سيدي، حسب الجدول فانه كان يجب ان يكون قد دخل المبنى توا، دخوله و اشعار الوفاة حدثا في ذات الوقت، تمام منتصف الليل حسب التسجيل الذي قام هو بمسحه".

"و ان كان قد دخل المبنى قبل مناوبته ؟"، قالها العميد و قد طرق على الزر على مكتبه، دخل الرجل المسلح، قال العميد:

"ابعث لي على ضابط الامن الداخلي".

استدرك فاضل قائلا: "سيدي، لا داعي لذلك، ساتولى انا الامر، ساحاول فهم الغاية من مسح شريط الزنزانة من قبل الضبع بطريقتي الخاصة، ما يهمنا الان القاء القبض عليه حيا".

كان العميد و مجموعة ضباط معهم النقيب فاضل قد دخلوا الى غرفة المراقبة وشاهدوا معا تسجيل الكاميرا المثبتة في الزنزانة 12 بعد الابلاغ بوقوع وفاة المختار مباشرةً و اطلعوا على محتواه، لقد تزامن دخول احد عمال التنظيف الى الزنزانة مع حالة اختناق بدت على المختار ابلغ بعد خروج العامل من الزنزانة بدقائق عن عدم تحرك الرئيس بعدها، ما تاكد لاحقا انه قد توفي، واثناء عرض الشريط، كان هناك جزء مفقود لثانيتين اخفى معه اهم ما بالشريط، وجه العامل، كما انه وخلال وقوع الحادث كان كافة افراد غرفة المراقبة قد استدعوا الى اصلاح عطل كبير في منظومة كاميرات المراقبة في المبنى المجاور، و عادوا الى مواقعهم بعد اطلاق الانذار عقب وقوع الحادث.

"سيدي"، قال فاضل، "لقد كان خطأً منا حين احتفظنا بالشريط في جهاز السيطرة فقط، كان يجب ان نصنع منه نسخة ثانية للاحتياط من اجل التحقيق".
اشعل العميد سيكارته وقال: "فاضل، ماذا يمكن ان يفسر عطل منظومة المراقبة في المبنى الثاني ووقوع حادثة اختناق الرئيس في ذات الوقت و وجود قطع هام على شريط تسجيل كاميرا الزنزانة 12 ثم مسحه بالكامل لاحقا ؟".

"من قام بمسح الشريط بهذه الطريقة .." .
"هو الفاعل !"، قال العميد مقاطعا، اخذ نفسا من سيكارته، "نقيب فاضل، بشكل سري من الداخل، ستاخذ قوة من عناصر الامن و تاتيني بالضبع"، و ضرب مكتبه بقبضة يده: "و اليوم !".

كان الضبع قد دخل توا الى المكان الذي يقطنه منذ اسابيع. فتح باب الشقة في الطابق الاول من المبنى و دخل اليها. كانت شرفة الشقة تطل على الشارع المؤدي الى ساحة الفردوس من جهة الكرادة. بامكانه النظر من خلال شرفتها الى مكان تمثال الرئيس صدام حسين الذي اسقطته الدبابات الامريكية عام 2003.

اشعل الانارة و اقفل الباب. جلس على اريكة جلدية في غرفة المعيشة. سحب نفسا عميقا ثم اخرج من جيب معطفه وحدة ذاكرة. نظر اليها بيده. و قال في نفسه:

"سترى ما قمت به !".

الفصل 14

برق الضياء الاول على العاصمة بغداد.

في تمام السابعة صباحا، كانت ثلاث عجلات شيفروليه مظللة قد استعدت تماما للقيام بعملية سريعة لتنفيذ اوامر العميد بالقبض على الضبع، وضع النقيب فاضل خوذته السوداء على مقدمة السيارة الاولى المتوقفة الى جانب السيارتين الاخريين في باحة الشعبة الخامسة، مرتديا درعه المضاد للرصاص والمرقط بالالوان الصحراوية، صاح النقيب على الافراد المشاركين بالمهمة امرا اياهم بالتجمع، تشكل 12 فردا مسلحا بشكل مربع ناقص ضلع امام النقيب، كانوا جميعا يرتدون بناطيل صحراوية و قمصانا لبسوا فوقها دروعهم المضادة للرصاص وجعب بخانات تحمل مخازن عتاد الاسلحة وفوقها ارتدوا سترا رياضية سوداء، كانوا مسلحين ببنادق ام 16 و ام 4 امريكية الصنع ومعتمرين خوذا سوداء من دون تغليف بقماش مرقط، كما بدت على افخاذهم الاحزمة السوداء الماسكة لحافظات مسدساتهم النمساوية الصنع.

مع صوت محركات سيارات الشيفروليه التي كانت تدور لاحماء نفسها و الاستعداد للاغارة على وكر الضبع، كان صوت النقيب فاضل جهوريا في الحديث امام افراد الرتل، اخرج خارطةً من جعبة بنطاله و بدا يشرح للفريق تفاصيل واجبات كل منهم منذ الانطلاق و حتى اتمام المهمة في الكرادة و العودة الى مقر الشعبة الخامسة مجددا، شرح ذلك مع التحفظ على اسم الهدف و استبداله باسم مستعار: الكبش.

رصد الوقت الافتراضي للمهمة بـ40 دقيقة.

في الغرفــة ذات الجدران الخشــبية، كان الرجل ذو البدلة الانيقــة قد اغلق الباب توا خارجا الى محل اقامته القريب من غرفته تلك، ماشــيا نحو مخرج المبنى، رن جهاز نقاله، لم يشــا الاجابة حتى خرج الى حديقة مقره، فتح الخط ووضــع الجهاز على اذنه.

اتصال قصير.

بدا غاضــبا من محتوى الاتصــال، اغلق جهازه و وضــعه في جيبه، فتح له احدهم الباب الخلفي لسيارته المظللة، استقلها تاركا المقر.

.....

على الســجاد المزخرف الممتد على ارضــية الغرفة الدافئة، و بجوار سرير خشــبي لفردٍ واحد، حطت قدمين انثويتين جميلتين بطلاء اظافرٍ احمر.

ادخلت اصابع يدها في شعرها المشقر و ارجعته الى الوراء، نظرت متثائبةً الى جهاز نقالها على المنضدة المجاورة لسريرها، كان الضوء الازرق في الجهاز يشتعل بشكلٍ متقطع، تناولت جهازها و فتحت قفل الشاشة بحركة متعرجة من ابهامها.

رسالة جديدة 2.

الفصل 15

انارت اشعة الشمس الذهبية الجهة الشرقية من منارة وقبة جامع الفردوس بزخرفتهما الاسلامية الرائعة، و المطلتين على الساحة التي تحمل نفس الاسم.

نزل الضبع من شقته مستخدما السلالم الى الطابق الارضي، خرج من باب المبنى و دخل الى مكتبة صغيرة في المبنى ذاته تطل على الشارع العام، كان رجلٌ مسن قد افتتح مكتبته المتواضعة تلك توا، القى الضبع التحية وطلب من الرجل العجوز ظرفا صغيرا، ابتسم العجوز و اخرج واحدا من احد الرفوف التي تغطي جدران المكتبة، اخذ الضبع الظرف و عاد الى شقته، اغلق باب الشقة وجلس على الاريكة، ثم اخرج قلما و كتب على ورقةٍ كلمات قليلة، وضع الورقة في الظرف و دسها في جيب معطفه.

تذكر العنوان الذي قراه على اللوحة الموضوعة في غرفة السير.

تستخدم تلك اللوحة لتثبيت معلومات توجه اية عجلة تابعة للشعبة الخامسة نحو هدفها، واتجاه واجبها ونوعه وعنوان الهدف واسم الضابط المستخدم لها و توقيت الخروج، تبقى المعلومات على اللوحة حتى عودة العجلة من مهمتها، حيث تمسح المعلومات و يعلق مفتاح العجلة بانتظار واجب جديد و مستخدمٍ اخر.
الوجهة واضحة، لا يمكن الخطأ فيها.

نظر الى ساعته:
السابعة و النصف صباحا.

نهض الى مطبخ الشقة، و بدا يحضر لنفسه كوبا من الشاي.

فتح مهدي عينيه بتثاقل على صوت نغمة نقاله الافتراضية، جلس على السرير، و اخرج نقاله من جيبه.
مها الطالبة.

فتح الخط و اجاب: "اهلا مها صباح الخير.. اه.. نعم، لا يمكن الحديث بذلك على الهاتف، يجب ان نلتقي قريبا... نعم انا في المنزل... طيب.. ساكون بانتظارك".

اغلق الهاتف و نظر الى ساعته، نهض و خلع سترته و توجه للحصول على حمامٍ ساخن.
في تلك الاثناء، كانت عجلات الشيفروليه قد عبرت جسر الائمة متجهةً الى ساحة الفردوس في وسط العاصمة حيث يقطن الضبع.
تمتلك المخابرات معلومات كافية عن جميع الافراد العاملين فيها، يتم الاستعانة بها للوصول الى اي فرد في اي وقت، الى جانب ذلك، توفر شبكات الهاتف المحمول امكانية تتبع الاتصالات الصادرة من خطوط الافراد المسجلة لديها لصالح المخابرات.

بدا النقيب فاضل صامتا و هو يجلس في المقعد الامامي من السيارة الاولى في الرتل، نظر من الزجاج المظلل و هو يفكر بامكانية اتمام العملية بنجاح.
كان فاضل من اكثر رجال المخابرات ولاءا للمؤسسة المخابراتية، حاز بذكاءه و تنفيذه للواجبات على اتم وجه استحسان رؤساءه في المديرية خصوصا العميد، حيث تعود ان توكل اليه المهام الحساسة.

متحمساً للمهمة، تفحص المسدس الكهربائي الذي وضعه على المقعد بين فخذيه.

يستخدم هذا النوع من المسدسات لاطلاق سلكين كهربائيين بسرعة فائقة، حيث ينغرز السلكان في جسم الضحية بسبب الرؤوس المعدنية المدببة في نهايتيهما، و حالما يتم غرز السلكين، يسري تيار كهربائي من المسدس بيد الرامي عن طريق السلكين الى جسم الضحية، مسببا تقلصا حادا في عضلاته و شالا حركته لفترة قصيرة تمكن رجال الامن من القاء القبض عليه دون اصابته بجروح بليغة او قتله ان تم استخدام المسدسات ذات الذخيرة الحية.

كان يامل في القاء القبض على الضبع حيا لمعرفة ما قام به اثناء تواجده في المديرية الليلة الماضية.

.....

جلس الضبع على الاريكة بعد ان وضع وحدة الذاكرة في جهاز حاسب محمول كان قد وضعه على طاولة امامه، فتح محتوى وحدة الذاكرة و اتكا يرتشف الشاي، ظهر في شاشة الحاسوب تصوير ثابت من كاميرا مراقبة، ابتسم الضبع متابعا، الدقة ممتازة.

كان مايظهر في التصوير هو الزنزانة رقم 12، قام الضبع بسحب تصوير كاميرا المراقبة الخاصة بتلك الزنزانة من غرفة المراقبة في الشعبة الخامسة قبل مغادرته اياها هذا الصباح.

ظهر في تصوير الزنزانة سرير منفرد بجانب الجدار وقد جلس عليه المتهم محمد المختار بسرواله الداخلي فقط، فُتح باب الزنزانة و دخل عامل نظافة يرتدي بدله صفراء اللون مع قبعة عمل باللون ذاته، اُغلق الباب وراءه و بدا بتنظيف الزنزانة، استمرت عملية التنظيف لخمس دقائق، اكمل العامل، ثم بدا برش ما يبدو انه معطر للجو، ما ان بدأ برشه في الزنزانة حتى بدا المختار منزعجا، ظهر ان هناك مشادة كلامية مع عامل التنظيف.

استمر الضبع بمتابعة الشريط.

انهى مهدي حمامه و توجه لاعداد القهوة. فيما كانت سيارة مها الشخصية قد دخلت الى الشارع الذي يقيم فيه. كانت مها تسكن مع والدتها في منزلهم بشارع فلسطين القريب من حي زيونة. زارت فيما سبق منزل استاذها عندما اعارها مصدرا قانونيا من مكتبته لاتمام بحثها. حيث رافقته بسيارتها من الجامعة الى منزله.

كان مهدي يراقب القهوة في طريقها للجهوز. فيما مر امامه شريط احداث الليلة الماضية بكل تفاصيله. فجأة. رن جرس المنزل. تحرك مهدي الى شباك غرفته في الدور العلوي و نظر الى الشارع. كانت الفتاة العشرينية تضع نظارتها الشمسية على شعرها المشقر. و ترتدي سترة جلدية بنية اللون و بنطالا من الجينز مع بوت جلدي بني طويل. عاد مهدي نحو المطبخ و اطفا النار تحت وعاء القهوة بعد ان جهزت. و نزل الى فناء المنزل متوجها نحو الباب حيث تنتظره مها.

وطأت عجلات سيارات الشيفروليه مدخل شارع السعدون من جهة ساحة التحرير التي تضم نصب الحرية العراقي في طريقها نحو ساحة الفردوس حيث يقطن الضبع. كان قائد القوة النقيب فاضل مستمرا باجراء الاتصالات مع مديره العميد شخصيا لاعلامه بتفاصيل تحركات القوة.
لم يكن هناك اكثر من دقائق تفصلهم عن *وكر الضبع*.

الفصل 16

بدا عامل النظافة يعتذر للرئيس المختار عن رشه معطر الجو، استدار نحو المنضدة عند راس سرير الرئيس معطيا ظهره للكاميرا، كان الرئيس يبدو و كأنه يسعل من انتشار دقائق معطر الجو في الزنزانة.
استمر الضبع بمشاهدة الشريط.

في باب المبنى الذي يقطن الضبع في احدى شققه، كانت ثلاث سيارات شيفروليه مظللة قد توقفت و ترجل منها ستة رجال مسلحين يتقدمهم النقيب فاضل الذي اعد مسدسه الكهربائي فيما اعد الاخرون بنادقهم الفتاكة، كانت اوامر فاضل للافراد واضحة:
المجئ بالضبع حيا كلما امكن ذلك.

بدا الافراد الستة بقيادة فاضل بصعود سلالم المبنى بهدوء، لم يكن يسمع في اروقة المبنى غير نقرات احذية عسكرية تحاول ان لا تصدر صوتا، كرجال اليين، كان افراد الامن يتقدمهم فاضل يتقدمون خطوة فخطوة على درجات السلم المؤدي الى باب شقة الضبع الخشبي في الدور الاول، فيما بقي الاخرون في الشارع حول مركباتهم يراقبون الوضع في الخارج، اقترب فاضل و رجاله من باب شقة الضبع و اصبحوا امامه مباشرة، اشار بقبضة يده للافراد بالتوقف، اخذوا وضعا قتاليا في الممرات و السلالم و باب الشقة في المبنى، و راحوا يتفحصون كل ما حولهم بعيون الصقور.
كان الضبع قد وصل بمشاهدة الشريط الى ثوانيه الاخيرة، انهى عامل النظافه عمليةً قصيرة عند سرير المختار الذي كان ممدا عليه، استدار نحو الكاميرا، بدا وجهه واضحا امامها.

اوقف الضبع الشريط وابتسم.
هذا ما سيؤكد له !

فجأة، طرق باب الشقة بثلاث طرقات خفيفة، تفاجأ الضبع.
من في هذا الوقت ؟
اغلق شاشة حاسبه المحمول على الطاولة و سحب اقسام مسدسه و امسكه خلف ظهره و توجه نحو الباب. كان النقيب فاضل بحالة عالية من التاهب وقد وضع اصبعه على زناد مسدسه الكهربائي و صوبه نحو باب شقة الضبع.
تقدم الضبع نحو الباب ووضع يده على مقبضه الكروي، احس بالعرق البارد يزلق قبضة مسدسه من بين اصابعه، كانت طبول قلبه تقرع امام الباب الخشبي، قبض على مسدسه بقوة، سحب نفسا عميقا و احكم قبضته الاخرى على مقبض الباب، في الخارج، تسللت قطرة عرق من تحت الخوذة التي يعتمرها النقيب فاضل الى جبينه، شد على مقبض مسدسه هو الاخر، داعبت سبابته زناد المسدس الكهربائي بانتظار الضغط عليه، شعر و كان المسدس اصبح جزءا منه، ضاغطا على اسنانه، كان تنفسه قد بدا يتسارع بانتظار لحظة الحسم..
بسرعة، و بحركةٍ مفاجئة، حرك الضبع مقبض الباب و سحبه نحوه، بقوة، ركل النقيب فاضل الباب و اندفع كالسهم داخلا شقة الضبع و متبوعا باثنين من رجاله، *الحسم*، تفاجأ الضبع بضيفه، ارتخت قبضته على مسدسه امام ما رآه.
الرجل العجوز صاحب المكتبة يقف مبتسما امامه.
"عذرا سيدي، لقد نسيت اعادة الفكة لك !".
ابتسم الضبع، و اخذ النقود شاكرا الرجل، عاد العجوز ادراجه نحو السلالم و اغلق الضبع الباب.

فتش فاضل ورجاله شقة الضبع المسجلة لديهم كمسكنٍ دائم له.
لا احد !

كان الضـــبع يتنقل منذ اســـابيع بين شقته و شقة صـــديق له سافر خارج البلاد لعلاج والدته، حيث كان يلجأ لشـــقة صديقه احيانا و هي تقع على مسافة ثلاث مبانٍ من مسكنه الاصلي في الشارع ذاته.

ضرب فاضل الجدار بقوة.

افلت !

امر رجاله بالخروج من الشـــقة بعد ان فتشوا كل شـــبرٍ فيها، اغلق الباب و سحب رجاله من المبنى، ركب الشـــيفروليه و امسك جهاز الاتصال، اعلم العميد بما جرى تماما.

بعـــد دقائـــق، كان الرجل ذو البدلة الانيقة قد استشـــاط غضـــبا وهـــو يتحدث في الهاتف.

اريده حيا !

الفصل 17

بدت علامات الدهشة و الصدمة على مها التي ارتجفت يدها الممسكة بفنجان القهوة لماروى لها مهدي من احداث الليلة السابقة ووفاة الرئيس و الرقم على جدار الزنزانة. وضعت الفنجان من يدها و سألت:

"استاذ. هل تعتقد بانك في خطرٍ الان بعد اطلاعك على ما جرى ؟".

"هذا مرهونٌ بامرٍ واحد. اذا اعلنت السلطات الامر على وسائل الاعلام ساكون في مأمن. ليس لديهم ما يخشوه. اما اذا تكتموا عليه لاكثر من اربع و عشرين ساعة. فساكون فعلا في خطر".

وضعت مها يدها على فمها و نظرت بخوف الى استاذها.

"استاذ. يجب ان تختفي مؤقتا !".

"لا يمكن الافلات من مخابرات الدولة". قال مهدي. "سابقى هنا وارى ما سيحدث".

بدت مها مرتبكةً و خائفة من عواقب ما جرى. سيما و ان الوضع العام في البلاد لا يزال مشحونا بعد تنحية الرئيس.

نهض مهدي و جلب كيس الاقراص الليزرية الي اعطاه اياه الملازم هشام.

(نسخة المحامي مهدي العلي).

"هذا ما اعطوني اياه". قال مهدي و هو يخرج القرص الاول متوجها الى جهاز تشغيل الاقراص في الغرفة. وضعه في الجهاز و عاد جالسا. وضع الكيس بقرصيه المتبقيين على المنضدة امامه.

ارجعت مها شعرها خلف اذنها باصابعها و تناولت الكيس: "ماهذا ؟". قالت. شغل مهدي التلفاز بالريموت كنترول. "سنرى الان".

انسحبت عجلات الشيفروليه من منطقة الكرادة عائدة الى مقر الشعبة الخامسة في الكاظمية. كان فاضل قد تلقى اتصالا من العميد يخبره فيه بايجاد خطة بديلة لالقاء القبض على الضبع. بدا منفعلا و هو ينتظر الوصول الى المديرية ومناقشة العميد بالامر.

في تلك الاثناء. تلقى الضبع اتصالا من جاره صاحب الشقة المجاورة لشقته الاصلية ساله فيه عما اذا كان بخير. فقد قامت قوة يبدو انها خاصة بمداهمة الشقة. طمأن الضبع جاره. و اخبره بان ذلك ليس الا مزحة من احد الزملاء في العمل. و اغلق الخط.
بسرعة. نهض وغير ملابسه. وارتدى زيا رياضيا وقبعة اشبه بقبعات لاعبي البيسبول. مع نظارة شمسية بيضوية الشكل و ذات تصميم معاصر.
مستعدا لمغادرة شقته. امسك بالظرف الورقي و اعاد قراءة النص الذي كتبه على الورقة المرفقة. ابتسم. اخرج من جيبه شيئا اشبه برصاصة بندقية الية من عيار 7.62 ملمترا. وضعها في الظرف الى جانب الورقة. و اخفى الظرف في جيبه. ثم اخذ بعض اوراقه الثبوتية كهويات و جواز سفر و حشرها في ملابسه. بعد ذلك. اخرج شريحة نقاله الذي تلقى الاتصال الاخير عليه. و كسرها.
نزل الى الشارع. واضعا يده في جيبه و قابضا بها على الظرف. و اشار بيده الاخرى لسيارة اجرة. توقفت قبالته. تحدث مع السائق. و استقل السيارة.

ظهرت صورة ميزان على الشاشة..
"و اذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل".
بقيت الصورة لبضع ثوان. كان مهدي ومها في غاية الفضول لمعرفة محتوى الاقراص رغم ما تم كتابته على الورقة المرفقة بانها مجرد تسجيل لجلسات محاكمة الرئيس المختار. سيطر على مهدي شعور قوي..

هناك شئ اخر غير جلسات المحاكمة..

بـدأ مشـغل الاقراص بعرض محتـوى القرص الاول من بين الاقراص الثلاثة التي تسلمها مهدي. ظهر نص ابيض على خلفية سوداء بعد ان اختفت صورة الميزان: جلسة المحاكمة العشرون.

تفاجأ مهدي و نظر نحو مها. بدت عليها علامات الاستغراب هي الاخرى. فالقرص الاول بدا بجلسة متاخرة جدا.

قال مهدي: "يجب ان تكون هذه الجلسة الاولى !".

ردت مهـا و هـي تتاكد من الارقـام على ظهر بقية الاقراص: "لم نخطئ. يجب ان يكون هذا القرص الاول !".

بدا الشريط بعرض جلسـة المحاكمـة العشرين. بدا مهدي و مها منتبهين جدا لما يعرض.

.....

من لوحة السير بذهنه. استعاد الضبع المعلومات التي حصل عليها.

لا يمكن الخطا بالوجهة.

واضعا يده في جيبه وناظرا من زجاج السيارة نحو الشارع. تحسس الظرف الورقي. تلمس راس الرصاصة باصابعه. و ابتسم.

هذا ما سيؤكد له !

الفصل 18

مضى ربع ساعة على بداية عرض جلسة المحاكمة العشرين. كان مهدي منفصلا تماما عن العالم الخارجي و هو يشبك يديه خلف راسه و يتابع الجلسة التي كان قد حضرها في حينها. فيما راحت مها منسجمةً مع الشريط هي الاخرى و هي تجمع شعرها حول كتفها الايمن باصابعها.

"هل لاحظت اي شئ ممكن ان يكون قد فاتك في تلك الجلسة استاذ ؟"، قالت.

هز مهدي راسه نافيا. كل مايراه الان قد حدث بحضوره و امام مرآه.

في تلك الاثناء، دخلت سيارة اجرة من شارع فلسطين الى منطقة زيونة موصلةً شابا اسمر بقبعة بيسبول و ملابس رياضية، وقد بدا اثر جرح قديم على خده الايمن.

لا يمكن الخطأ في الوجهة !

قال الضبع و هو ينظر الى ارقام المنازل المثبتة بجانب ابوابها، طالبا من سائق السيارة السير ببطئ.

في شريط المحاكمة، كان القاضي يوجه سؤالا اخر للمتهم محمد المختار:

"بماذا تفسر قيامك بتوريط اجهزة مخابرات الدولة بدعم ومساعدة القراصنة الافارقة للاستيلاء على سفن النفط و الشحنات التجارية المارة عبر مضيق باب المندب الى البحر الاحمر ومنه الى قناة السويس و البحر المتوسط ثم اوربا وطلب الفدية المالية مقابل اخلائها ؟ انت دعمتهم بالسلاح والمعلومات سرا، و تسلمنا اوامر خطية لك الان عبر الادعاء العام توجه المخابرات بموجبها بخصوص ذلك ؟"..

لا يزال مهدي و مها يتابعان.

اجاب الرئيس مبتسما:
"بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه..". كان ذلك اقتباسا من القران.
تكررت اللقطة مرتين، حيث اعيد المقطع بعد انتهاءه، بدت تلك لمهدي و مها مشكلة فنية، ثم اعيد نفس المقطع بطوله ذو العشرة ثوان مرةً ثالثة، نظر مهدي الى مها، امسك الريموت كونترول واوقف الشريط، ثم سمح له بالاستمرار، في محاولة لتجاوز المشكلة الفنية على الشريط.
انتهى المقطع منهيا معه النص القراني الذي يذكره الرئيس، ثم اعيد مرة رابعة.

نهض مهدي واخرج القرص من جهاز التشغيل، نظر اليه جانبيا وقد انعكس الضوء عليه.
القرص سليم و من دون اي خدوش.
اعاده الى جهاز التشغيل و نظر الى مها على الاريكة، تناولت الريموت كونترول وشغلت القرص، قامت بتقديم الشريط الى نفس المرحلة.
"بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه..". انهى الرئيس النص القراني، و اعيد مجددا.

بدا ان القرص لا يعاني من مشاكل فنية، لقد تمت اعادة المقطع عمدا باستخدام برامج المونتاج ليبدو كذلك، يظهر ذلك دقة التصوير وعدم ظهور اية مشاكل في الصوت و الصورة على طول الشريط.
"دعيه يستمر"، قال مهدي، وضعت مها جهاز التحكم و شبكت ذراعيها.
اعيد المقطع بثوانيه العشرة سبع مرات متتالية، ثم استمر بعرض باقي جلسة المحاكمة.

ترجل الضبع من سيارة الاجرة و اغلق الباب. كان الشارع خاليا تماما من المارة حيث تعود السكان في حي زيونة على كون حيهم من اهدا احياء العاصمة و اقلها كثافة سكانية.
نظر الى السيارة النسائية الصغيرة بباب البيت الهدف. طابق في ذهنه معلومات المسكن مع المعلومات التي حصل عليها من لوحة السير.
كان الضبع قد حصل على عنوان المحامي مهدي من تلك اللوحة عندما كان ذلك العنوان عليها اثناء اعادة مهدي الى مسكنه من قبل عجلة تابعة للشعبة الخامسة في الليلة الماضية. فقد ثبت ذلك العنوان الضابط المكلف باعادة المحامي الى بيته قبل عودته بالعجلة الى مقر المديرية و قيامه بمسح تلك المعلومات.
البيت الهدف.

بدا يخطو بضع خطواتٍ مبتعدا عن المنزل. دخل الى دكان قريب يبعد نحو عشرين مترا عن منزل مهدي. اشترى علبة سكائر. و خرج عائدا نحو هدفه.
بخطوات واثقة. اقترب الضبع من منزل مهدي. صعد الى الحدائق الجانبية للشارع الملاصقة لاسوار المنازل الامامية. اصبح منزل مهدي على مسافة خطوات على يمينه. ضغط على الظرف في جيبه بقبضته. اخرج الظرف. اصبح منزل مهدي على يمينه تماما. رمى بالظرف ذو الورقة و الرصاصة عبر السياج الخارجي الى حديقة منزل مهدي الداخلية. نزل الى ارضية الشارع متجاوزا سيارة مها. و اكمل طريقه.

في تلك الاثناء. كان مقطع قراءة المختار للنص القراني قد اعاد نفسه سبع مرات على الشريط. ثم استمر الشريط بعرض محتواه المتبقي. و بعد خمس دقائق من عرض باقي المحتوى. توقف القرص معلنا انتهاء محتواه.
"انتهى". قالت مها.
"لنعرض القرص التالي". رد مهدي بحيرة.

اخرجت مها القرص الثاني حسب التسلسل المكتوب على ظهره من كيس الاقراص، و نهضت لاستبداله بالقرص الاول في جهاز العرض، بينما امسك مهدي جهاز التحكم منتظرا عرض محتواه.

عادت مها لتجلس في مكانها، ضغط مهدي زر التشغيل و ابتدا العرض.

ظهر الميزان مرة اخرى.

"واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل"، بقيت الصورة لبضع ثوان، ثم نص ابيض على خلفية سوداء: جلسة المحاكمة العشرون.

شعر مهدي و مها بالاستغراب، نظر نحوها: "العشرون مجددا ؟؟!"، بدت مها و كانها تحاول ان تجد تفسيرا لذلك، فقد بدا الشريط بعرض نفس محتوى القرص الاول، نظرت الى مهدي:

"لنتابعه !"، هز مهدي راسه موافقا.

.....

في الشعبة الخامسة، كان النقيب فاضل قد دخل غرفة العميد بعد عودته من الغارة الفاشلة على وكر الضبع، ممسكا خوذته بيده، و مرتديا بزته القتالية الكاملة، اشار له العميد بالدخول.

قال وهو يدخل الغرفة: "سيدي، افلات الضبع منا بهذه الطريقة يؤكد شكوكنا نحوه".

"استرح"، قال العميد، جلس فاضل على الاريكة بعد ان خلع درعه ووضعه على الارض، بينما ابقى خوذته في حجره.

"اليك الخطة البديلة"، قال العميد.

في تلك الاثناء، قرر الضبع ان يلعب لعبة القط و الفار مع السلطات، استقل سيارة اجرة و اتجه بها الى اطراف العاصمة الغربية.

بدا الشريط الثاني مطابقا تماما للشريط الاول في مضمونه.
جلسة المحاكمة العشرون مع اعادة لمقطع تحدث الرئيس لسبع مرات متتالية.
"وهو كذلك"، قالت مها وهي تشعر بالصدمة شانها شان مهدي، "هل نجرب القرص الثالث ؟"، هز مهدي راسه موافقا، بينما نهضت هي لاستبدال القرص بالقرص التالي.

جلسة المحاكمة العشرون..
ظهر ان القرص الاخير يحمل المضمون ذاته ايضا.

ما ان راى مهدي مضمون القرص الاخير، حتى شعر بفكرة غريبة.
"مها، السر في الشريط !"، قال لها بينما كانت تقف وقد شبكت ذراعيها، ارجعت مقدمة شعرها عن عينيها الى الوراء بحركة من راسها و جلست قبالة مهدي، "كيف ؟"، نظر نحوها و قال:
"الاعادة على القرص مقصودة، لا يمكن للمخابرات ان تخطئ هكذا بجعل ثلاثة اقراص بمضمون واحد، ثم لماذا يسلموني شريطا لحدثٍ كنت قد حضرته اصلا ؟"، فكرت مها و قالت: "ثم لو افترضنا ان الموظف المكلف باعداد هذه الاقراص لك قد اخطأ في جمع ثلاثة اقراص بذات المضمون في كيس واحد فلماذا اصلا قد تم استنساخ ثلاثة نسخ من محتوى هذه الاقراص ؟".
ابتسم مهدي و قال: "ارايتِ ؟".
ضغط على الريموت كونترول مسرعا الشريط الى المقطع ذو الاعادات السبعة.

في الشعبة الخامسة، كانت سيارة اسعاف من دون لوحات تسجيل قد خرجت توا بصحبة سيارتين مصفحتين رباعيتي الدفع تابعتين للمديرية باتجاه دائرة الطب العدلي في الباب المعظم وسط بغداد، وهي تحمل جثة الرئيس القتيل.

الفصل 19

ضغط مهدي على مشغل الشريط بالريموت كونترول. بدأ مقطع الاعادات السبعة يعرض. كان الرئيس مبتسما وهو يجيب على سؤال القاضي. أقتبس نصا من القران برده: "بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله وكذلك كذب الذين من قبلهم فأنظر كيف كان عاقبة الظالمين".

كان مهدي يذكر هذا الحدث جيدا. فقد قال الرئيس تلك الكلمات في حينها وعاد جالسا في قفص الاتهام دون ان يجيب على سؤال القاضي بخصوص دعم القراصنة الافارقة.

التفتت مها الى مهدي لتتصيد لغة وجهه. لم يبد عليه غير غرقه في التفكير.

"استاذ ؟". قالت. نظر اليها رافعا حاجبه: "هممم !". اخرج سيكارة من العلبة على المنضدة.

"لا ادري ان كانت تلك رسالة الرئيس او رسالة المخابرات لنا ".

قال مهدي: "لو كانت هناك رسالة من الرئيس لكان قد اخبرني عنها في زيارتي المنفردة اليه. لقد حدثني بالكثير من الامور عن القضية لكنني لم اساله عن سبب قراءة هذا النص في المحكمة".

ارجعت مها شعرها خلف اذنها باصابعها. "لمَ لَم تساله ؟".

رد مهدي: "اعتقدت انه جواب يتهرب فيه الرئيس عن الرد على المحكمة فحسب. لم اكن اعلم ماسيجري وان المخابرات ستولي هذا النص اهتماما. فضلا عن ان الرئيس كان يستشهد في احيان كثيرة بنصوص قرانية و ابيات شعرية اثناء جلسات المحاكمة".

"اقترح ان نقرأ النص كاملا في القران. قد يكون ماذكره الرئيس جزء من نص اكبر يحمل رسالة ما". قالت مها.

نظر مهدي اليها وقد بدا متحمسا: "لنفعل !".
نهض الى المكتبة الصغيرة بجانب التلفاز واخرج كتاب قران بحجم كف اليد. عاد ليجلس وقد امسك الكتاب. قطب حاجبيه ونظر متحيرا الى مها:
"يجب ان نعرف مكان النص من الكتاب اولا!".
ضمت مها شفتيها ثم قالت: "سابحث عنه على الانترنت".
هز مهدي رأسه و اشار الى جهاز حاسبه المحمول على منضدة طعام قريبة. و وضع الكتاب على المنضدة.
نهضت مها بطولها ذو الـ168 سنتمترا واتجهت نحو المنضدة. اصدر كعب حذائها طقطقةً عندما خرجت من نطاق سجادة الغرفة وبدات تمشي على البلاط. عادت بالحاسب المحمول وجلست قبالة مهدي وفتحت الجهاز.

.....

في الشعبة الخامسة. كان فاضل قد شعر بنوع من الارتياح لقرب بدء تطبيق الخطة البديلة. فقد اخبره العميد بان اوامر اللواء مدير المخابرات العامة قد صدرت باغلاق المنافذ الحدودية والمطارات امام الضبع عن طريق ابلاغها بمعلومات عنه مع امر بالقاء القبض عليه الى جانب اعداد المخابرات خطة لنشر نقاط تفتيش بالتعاون مع الامن الداخلي للامساك به.
اصبح الاتصال مع تلك الجهات بانتظار التنفيذ.

عاد ذو البدلة الانيقة الى غرفته ذات الجدران الخشبية. بدا متعبا نوعا ما من سهرة الليلة الماضية. امر بفنجان قهوة له ثم بدا يجري اتصالا هاتفيا مع جهة نافذة في الدولة. اغلق سماعة الهاتف...
كل شئ سيكون على مايرام.

مرت عينا مها على النص القراني الظاهر على شاشة الحاسب المحمول وهي تقرأه بصوتها الانثوي من بداية الصفحة الى نهايتها مرورا بالاية التي ذكرها المختار، فيما كان مهدي منصتا ويحاول فك لغز النص الذي اجاب به الرئيس على سؤال القاضي في الجلسة العشرين.

انهت القراءة ونظرت الى مهدي، سحب نفسا عميقا واتكأ على الاريكة مغمضا عينيه.

لا يحمل النص اي حل للتساؤلات.

عادت مها تنظر الى الشاشة مركزة على الاية التي ذكرها الرئيس، فجاة، ضاق اتساع عينيها وارجعت شعرها خلف اذنها..

"استاذ ؟"، فتح مهدي عينيه واخذ نفسا اخيرا من سيكارته.

نظر اليها، "ماذا ؟"، اجابت قائلة: "تعال وانظر"، دار الف سؤال في ذهن مهدي في هذه اللحظات، اطفأ سيكارته و نهض اخذا نظارته الطبية من على المنضدة امامه، ابتعدت مها عن الاريكة لتفسح المجال له بالجلوس، وضع نظارته وجلس بجانبها وبدأ ينظر الى الشاشة.

حركت مها اصابعها على مؤشر الفارة، فتحرك معه السهم على الشاشة مشيرا الى رقم الاية.

صُدم مهدي وهو يشاهد الرقم على جدار زنزانة الرئيس هو نفسه رقم الاية التي ذكرها المختار في المحاكمة المسجلة على الشريط.

نظر الى مها و قال: "الاية 39 !".

هزت راسها و قالت: "من سورة يونس !".

نزع مهدي نظارته ورماها على المنضدة، نهض وتخصر وهو يسحب نفسا عميقا...

ماذا يعني ذلك ؟

الفصل 20

كان الضبع قد ترجل من سيارة الاجرة واغلق الباب، نظر خلفه فبدا له عن بعد تمثال الاسطورة (عباس بن فرناس) ذو الجناحين.
يعرف بن فرناس كرجل عربي قام باول محاولة طيران بجناحين قبل نحو الف عام، نجح في طيرانه لدقائق قبل ارتطامه بالارض وموته بسبب عدم صناعته ذيلا لطائرته البدائية كما هو معروف عنه، وضعت السلطات العراقية تمثالا له في بوابة مطار بغداد كرمز لمحاولة عربية مبكرة لبلوغ الاجواء.

لمعت اطراف اجنحة التمثال بعيني الضبع بانعكاس ضوء الشمس عليها، عدل قبعته واتجه داخلا بوابة مطار بغداد الدولي.
توجه نحو سيارات نقل المسافرين المتواجده في باب المطار و استقل احداها، حيث تعمل تلك السيارات على نقل المسافر من البوابة الرئيسة الى مركز المطار المجاور لمدرج الطيران، تحركت السيارة تاركةً ورائها بوابة المطار واتجهت شرقا في طريق واسع لبلوغ مركز المطار حيث تتواجد مكاتب شركات الطيران ضمن مبنى المطار نفسه.
ناظرا من نافذة السيارة، تذكر الضبع وضع مطار بغداد قبل اعوام من الان و الاجراءات الامنية المعقدة التي كان يمر بها المسافرون قبل بلوغ مركز المطار، كلاب بوليسية و نقاط تفتيش على طول الطريق بين البوابة و مركز المطار، الا ان تلك الاجراءات تم تخفيفها على المسافرين مع ايجاد طرق بديلة للحفاظ على امن اهم مطارات البلاد.
مرت السيارة امام لافتة كبيرة كتب عليها "العراق يودعكم"، كان امل الضبع هو انجاز تاشيرة سفره من المطار باسرع ما يمكن، عشر دقائق اخرى بتلك السيارة و سيكون في قلب مطار بغداد الدولي.

في تلك الاثناء، كانت المخابرات قد بدات توا باجراءات اولية بواسطة شبكة اتصالات واسعة لابلاغ المنافذ الحدودية والمطارات بمعلومات تخص الضبع كمشتبه به ومطلوب لغلق الطريق امام اي محاولة متوقعة منه للهروب من العراق.

مرت عشر دقائق وصلت فيها السيارة التي تقل الضبع الى مركز المطار، ترجل الضبع و اتجه الى مدخل مبنى المطار، عدل قبعة البيسبول و دفع بسبابته اطار نظارته البيضوية على عينيه، متجاوزا الباب الاول، بدا يحث خطواته حيث توجد كابينات شركات الطيران ليبدا بحجز تذكرة الخروج من العراق.
انعكست على نظاراته الشمسية التي لم يزلها عن عينيه حتى داخل المبنى لافتة الخطوط الجوية العراقية التي تعلو كابينة شراء التذاكر الخاصة بشركة الطيران الوطنية، اقترب من الكابينة و القى التحية على موظفة قطع التذاكر، استفسر منها عن اقرب رحلة متوفرة الى وجهته، و حصل على الرد.

الوجهة: مطار اتاتورك الدولي – تركيا.
الوقت المتوقع للرحلة: ساعتين من الان.

دفع سعر تذكرة السفر الى تركيا كتذكرة ذهاب فقط و حصل عليها، اصبح اسمه موجودا لدى سلطات المطار كمسافر ينتظر رحلة له على متن الخطوط العراقية الى مطار اتاتورك الدولي، ابتسم لموظفة الحجوزات تاركا اياها تكمل عملها مع زبون اخر، اخذ تذكرة السفر و غادر الكابينة.
في الوقت الذي كان يجب عليه التوجه للحصول على التاشيرة و بطاقة الركوب، توجه الضبع عائدا الى بوابة الخروج من مبنى المطار، اخترقها بخطواتٍ سريعة قاصدا باحة المبنى لاستقلال سيارة اخرى تعيده الى البوابة الرئيسة قريبا من تمثال بن فرناس مجددا.
لن يسافر.

لقد اراد الضبع اشغال السلطات بوجود اسمه لدى احدى شركات الطيران كمغادرٍ للبلاد بينما يتوجه هو الى جهة اخرى، لعبة كسب الوقت !

في تلك اللحظات، كان امر اغلاق المطارات و المنافذ الحدودية بوجه الضبع قد دخل حيز التنفيذ، فقد تلقت سلطات مطار بغداد الدولي امرا صريحا من جهات امنية بالقاء القبض على مشتبه به، زودت الجهات الامنية سلطات المطار باسمه الكامل و صورة له واصفة اياه بالمطلوب الخطر، خلال دقائق، كانت منظومة المطار قد اكتشفت وجود اسم الضبع الحقيقي كمسافر قام قبل قليل بقطع تذكرة سفر الى مطار اتاتورك الدولي على متن الخطوط الجوية العراقية، حددت السلطات الكابينة التي تم منها قطع التذكرة و توقيت قطعها، وبشكل عاجل، اعاد رجال الامن في غرفة المراقبة التابعة لامن المطار تصوير كاميرات المراقبة على كابينة حجوزات الخطوط العراقية لنفس اللحظات التي تم فيها قطع التذكرة، وشاهدوا بوضوح المشتبه به وهو يقوم بشراء تلك التذكرة، تابع رجال الامن مشاهدة تصوير باقي كاميرات المراقبة لمعرفة النقطة التي توجه اليها المطلوب، تفاجأوا بمغادرته مبنى المطار.

في تلك الاثناء، كان الضبع قد استقل سيارة نقل المسافرين عائدا الى بوابة المطار الخارجية، مر بلافتة في الطريق كتب عليها "العراق يرحب بكم"، نحو 12 دقيقة اخرى و سيبلغ البوابة المطلة على طريق المطار السريع الذي يتوسطه تمثال بن فرناس.

لاهميته الكبيرة، تمتلك سلطات مطار بغداد الدولي عددا كبيرا من كاميرات المراقبة المنتشرة داخل وحول المطار الى جانب العشرات من رجال الامن المنتخبين بعناية، حيث يمثل مطار بغداد واحدا من اكثر البقع اهمية في العاصمة العراقية الى جانب

المنطقة الخضراء الرئاسية التي لا يفصلها عن المطار سوى بضعة كيلومترات من خط سريع ينتهي في تلك المنطقة.
تتبع رجال الامن كاميرات المراقبة التي تصور الطريق المؤدي الى البوابة الخارجية ببثها المباشر. ليس امام المشتبه به سوى الخروج من البوابة الرئيسة المطلة على الطريق السريع. راقب رجال الامن لقطات الكاميرا المنصوبة على البوابة الخارجية بانتظار ظهور الضبع عليها. في الوقت الذي تم ابلاغ السلطات الامنية بعثور سلطات المطار على المشتبه به و الاستمرار بمتابعته.

في تلك الاثناء. كان النقيب فاضل الذي يستقل سيارة شيفروليه قادما نحو المطار مع اثنين من رفاقه وهو يامل ان يلقي القبض على الضبع بنفسه. فاعطى الامر الى جهات الاتصال بسلطات المطار بعدم القاء القبض على المشتبه به الا حين وصول قوة من مخابرات البلاد. والاكتفاء بمتابعة تحركات الهدف اولا باول و تزويد الجهات المخابراتية بها. كانت سيارة الشيفروليه تلك تخترق شوارع بغداد بسرعة جنونية مستهدفة الوصول الى الضبع في اللحظة المناسبة.

بعد نحو 10 دقائق. ترجل الضبع من سيارة ايصال المسافرين و اتجه نحو رصيف تقف عنده بعض سيارات الاجرة. عدل قبعته ومشى نحو الشارع. عند حافة الرصيف. كان رجل مسن قد اوقف سيارته الصفراء للاجرة ووقف بجانبها منتظرا احد المسافرين العائدين ليقلهم من المطار الى وجهته مقابل اجرة. نظر الى الضبع الذي بدت عليه علامات العائد من الخارج. قبعة البيسبول والملابس الرياضية ذات الماركة ونظارة شمسية تبدو انها من ماركة فاخرة هي الاخرى وحذاء رياضي غير مقلد. اقترب الرجل من الضبع الذي راح يبدو مستعجلا.

"تاكسي سيدي ؟"، نظر اليه الضبع.
"اين سيارتك ؟"، اشار الرجل بمفاتيح السيارة نحو سيارته المركونة على الشارع القريب.

اقترب الضبع منه: "مراب العلاوي لو سمحت"، ابتسم الرجل العجوز واتجه مع الضبع واستقلا السيارة.

يقع مراب العلاوي مقابل مبنى المتحف الوطني العراقي في كرخ بغداد في منطقة مزدحمة، حيث يحيط به مطار المثنى من الجهة الغربية الشمالية ومتنزه الزوراء من الجهة الغربية اضافة الى قربه من ساحة الاحتفالات الكبرى التي تحتضن استعراضات الجيش العراقي، يستخدم ذلك المراب للسفر برا الى اية محافظة عراقية اخرى بواسطة مئات السيارات التي تقف في طوابير بانتظار المسافرين.

كان النقيب فاضل يشعر بان الضبع هو غنيمته التي لا يجب التفريط بها، لم يشأ ان يرى الضبع يسقط بيد جهة امنية اخرى، فقد يتحدث لها بمعلومات لا تريد المخابرات فضحها حتى لجهات امن وطنية اخرى.

.....

شعر مهدي بقرب انفجار اعصابه، "ماذا يريدون ان يقولوا بهذه الاقراص ؟"، قال بهيستيريا.
اغلقت مها شاشة الحاسب المحمول ووضعته على المنضدة: "استاذ، يجب ان نفهم السبب وراء قيامهم بارسال هذه الاشارة لك".
اشعل مهدي سيكارة اخرى وهو يجول الغرفة ذهابا وايابا: "هذا هو السؤال!".
سالت مها مجددا: "هل تعتقد ان موت الرئيس كان مدبرا من المخابرات؟، يجب ان نضع ذلك احتمالا، فالرقم الذي رايته في الزنزانة ينطبق مع رقم الاية المكررة على القرص، الا تخشى المخابرات قيامك بالتصريح للاعلام عما حدث معك وفضحك لذلك التطابق المريب بين الرقمين؟"، اوقف مهدي خطواته ونظر اليها و قال:

"مهـا، ليـس هناك دليـل، كيف سـاثبت للاعلام ان هـذه الاقراص وصـلتني عن طريق المخابـرات؟ ثم كيف لي الربط بين التكرارات ورقم علـى جدار زنزانة الرئيس لم يشـاهده احد سـواي؟ ولو افترضـنا ان احدهم سرب معلومات عن حالة زنزانة الرئيس والرقم على جدارها، كيف يمكن لي ربط ذلك الرمز مع تكرارات على شريط سيصـفها الاعلام بالدليل غير الكافي او ان التكرارات عليه ناجمة عن خلل فني غير مقصود ؟".

سـحبت مها نفسـا عميقا ووضعت راسـها بين يديها، نظرت الى مهدي: "استاذ انت بحاجة الى الراحة، سـاتركك لوحدك واحاول ان اجد تفسيرا لما يحدث"، جلس مهدي على الاريكة و ارجع راسه للوراء وتنهد، "مها يجب لهذا اللغز ان يحل !".
بملامـح تبدو عليهـا الحيرة، ردت مهـا: "ارجوك اسـتاذ، لاتتعب نفسـك بالتفكير، سيتضـح كل شـئ لاحقا، انا متاكدة"، هز مهدي راسـه و نهض واياها نازلين الى فناء المنزل باتجاه الباب، كان مراب يتسع لسيارة واحدة هو الطريق المؤدي من الباب الداخلي لمنزل مهدي نحو الباب الخارجي له، و بموازاة المراب من الجانب الايسر، كانت حديقة صغيرة تغطيها الاعشاب و الحشائش تمتد جانبيا على طول الطريق المؤدي الى الباب، و تحيط بعشب الحديقة من ثلاث جهات نباتات الجوري و الياسمين و التي بـدت من غير زهورها بفعل الشـتاء القارس، خطت مها واسـتاذها الطريق المؤدي الى الباب الخارجي وسـط نقاش الاثنين حول ماجـرى، فجاة، توقف مهدي ناظرا الى حديقة المنزل الصغيرة ورمى سيكارته ببرود، التفتت اليه مها وهي تلاحظ نظراته على نقطة ما في الحديقة، نظرت اليها ورات ماراه هو.
ظرف ورقي.
دون ان يتكلم، نزل على عشـب الحديقة وتبعته مهـا، رفع الظرف من على الارض، كان ورق الظرف مطوى بشكل غير منتظم بفعل الضغط عليه.
"المزيد من المتاعب !".

بعينين تملؤهما الحيرة، قالت مها و هي تتمنى ان لا يكون كذلك: "لنفتحه استاذ".
اثناء فتح الظرف جانبيا بيد مهدي، سقطت رصاصة بندقية من عيار 7,62 مليميترا منه ووقعت على حذاء مها البني، ثم استقرت بين قدميها على العشب، تسمر الاثنان في مكانيهما.

في احداث الحرب الاهلية العراقية في عامي 2006 و 2007 في العراق، كان الظرف المحتوي على رصاصة يعني مغادرة المنزل المستهدف من قبل ساكنيه او الموت، استخدمت الجماعات المسلحة هذه الطريقة لايصال تلك الرسالة الى الاهالي، وهذا ما ارعب مهدي ومها.
انحنت مها والتقطت الرصاصة من بين قدميها مرجعة شعرها الى الوراء، نظرت الى مهدي الذي بدا يبلع ريقه ويتنفس بسرعة، تلمست راس الرصاصة باصابعها، "يريدون قتلي !"، قال وقد شعر بخوفٍ نقي يجري بدمه.
احست مها بخطورة حالة استاذها النفسية، الا انها تنبهت الى خفة وزن الرصاصة في يدها، تناول مهدي الرصاصة منها وبدأ يلمسها وهو يحاول فهم ما هو فيه ورطة.
"استاذ هل شعرت بخفة وزنها ؟".
رفع مهدي الرصاصة امام عينيه: "نعم قد تبدو تمثيلا لرصاصة، لكنها تؤدي نفس الغرض في ايصال رسالة التهديد لي".
اخذت مها الرصاصة من يده، تحسست الحد الفاصل بين خرطوشة الرصاصة وراسها، كانت تبدو كلعبة اطفال، امسكت راس الرصاصة باصابع يدها اليمنى والخرطوشة باصابع اليسرى وسحبتها باتجاهين متعاكسين، قال مهدي: "ماذا تفعلي..."..
انفصل الجزءان عن بعضهما وبان مابينهما.
وحدة ذاكرة على هيئة رصاصة.
نظر الاثنان الى بعضهما وقد شعرا بالصدمة.

لولعه في سفرات الصيد واسلحة قنص الحيوانات وكل مايتعلق بالسلاح. كان الضبع يمتلك طقما من المقتنيات الشبيهة بتلك الاسلحة ومايتعلق بها. وحدات ذاكرة على هيئة رصاص وقنابل صغيرة. ولاعات على شكل مسدسات. علب معدنية لحمل السكائر بشعارات عسكرية ورسوم لبنادق ورشاشات. كان رفاقه يحسدونه على مقتنياته تلك ولم يجربوا طلبها منه لمعرفتهم باعتزازه الشديد بذلك النوع من المقتنيات.

اندفع الفضول لدى مهدي ومها لمعرفة محتوى وحدة الذاكرة. "نفتح محتواه الان؟". قالت مها وهي تعيد غلاف الرصاصة. "بالطبع. اخشى ان يكون بداية لمتاعب جديدة". رد مهدي.

"أهدأ استاذ سنكتشف محتواه ونعرف مافيه".

عاد مهدي ومها الى داخل المنزل والى الغرفة في الدور العلوي للتعرف على محتوى وحدة الذاكرة (الرصاصة).

.....

مرت سيارة الاجرة التي تقل الضبع على الجسر العابر من امام جامع ام الطبول. بدا الفن المعماري للجامع كتحفة معمارية تطل على شوارع رئيسية حيث يتربع الجامع على منطقة مكشوفة كصرح رائع. خصوصا عند انارته ليلا وشموخ منائره على المنطقة المحيطة.

كان السائق العجوز يدندن مع اغنية للسيدة فيروز تعرضها احدى الاذاعات العراقية على الراديو. فـ(بلبل الصباح) كما يسميها العرب هي احدى الاصوات التي يرغب الناس بسماعها صباحا في العالم العربي. احس السائق بانه وجد مهربا من محاولاته لفتح حوار مع الضبع الذي كانت سمته الهدوء ولم يبد رغبته في تبادل الحديث معه.

بعد عبور المجسر، انتبه الضبع الى وجود اختناق مروري بسيط على الطريق، ثلاثة طوابير قصيرة من السيارات تنتظر دورها في عبور نقطة تفتيش وضعت بشكل مفاجئ.

.....

جالسة على الاريكة وضعت مها الحاسب المحمول على فخذيها بانتظار عرض محتوى وحدة الذاكرة، بينما جلس مهدي الى جانبها في غاية التوتر، ظهرت نافذة المحتويات:

ايقونة واحدة بتسمية افتراضية.

ابعدت شعرها عن عينيها بحركة من راسها ونقرت مرتين على الايقونة، فُتحت نافذة برنامج و بدات بعرض مقطع فيديو، شعر مهدي بان صورة ما يظهر في الفيديو ليست جديدة عليه..

الزنزانة 12.

الفصل 21

وصلت سيارة الاجرة التي تقل الضبع الى مقدمة طابور السيارات امام نقطة التفتيش. سيارتين عسكرتيين رباعيتي الدفع تقفان على مقربة ورجال امن بزي عسكري واخرون بملابس مدنية مع هويات تعريف معدنية وضعت على صدورهم واجهزة اتصال في ايديهم. شعر الضبع بخطورة الموقف.
لايمكنني التراجع يجب عبور نقطة التفتيش بسلام.

اوقف احد افراد الامن وكان ضابطا سيارة الاجرة. اقترب من نافذة السائق و نظر الى راكبي السيارة. كانت عيناه تشعان ثقة وجمود. تحاشى الضبع النظر اليه واكتفى بالنظر الى الامام من وراء نظارته الشمسية. بصوتٍ واثق سأل الضابط السائق:

"من اين قدمت والى اين انت ذاهب ؟". احس الضبع كان قلبه سقط كمصعد افلتت اسلاكه.
"سيدي قادم من مطار بغداد ومتوجه الى مراب العلاوي". اجاب السائق العجوز.
"هل لي بهوياتكم التعريفية من فضلك؟".
"طبعا سيدي !".

اخرج السائق هويته بينما لم يشا الضبع ابراز هوية عمله كرجل يعمل في مخابرات الدولة واكتفى ببطاقته الشخصية. تفحص رجل الامن الهويتين. نظر نظرة عابرة على هوية السائق فيما امعن النظر بهوية الضبع. رفع عينيه عنها ونظر اليه:
"نظارتك سيدي".

بتردد، ابعد الضبع نظارته ونظر مباشرة الى عيني الضابط. كان وجهه اسمرا ويبرز على خده الايمن جرحه القديم فيما بدت يعناه كفصين جامدين من الحجر اللامع. اعاد الضابط النظر الى هوية الضبع الشخصية و سال:
"انت قادم من المطار سيدي ؟"، اوما الضبع بالايجاب. "من اين عدت ؟"، سال الضابط مجددا، اراد الضبع ان يجد اسم اي دولة ليكذب بشان عودته من السفر، لكنه فكر في امكانية طلب رجل الامن جواز السفر والاطلاع على التاشيرات.
"حقيقة لم استطع السفر، والدتي بحال صحية سيئة وقد اتصلت بي لتدهور حالها الصحي اكثر هذا الصباح".

لم يزل رجل الامن عيناه عن الضبع رغم انه اعاد الهويات اليه والى سائق الاجرة، ضرب على حافة باب السائق وقال: "بالسلامة !".

تحركت سيارة الاجرة، فيما شعر الضبع بزوال صخرة ثقيلة كانت تجثم فوق صدره. ما ان بدات السيارة بالابتعاد حتى امسك ضابط نقطة التفتيش بجهاز الارسال وقال في نداءٍ لجهة اخرى:
"الهدف في مرمى البصر سيدي !".

بعد ما احس به الضبع من نظرات رجل الامن في نقطة التفتيش وفي خطوة ذكاء، اراد ترك سيارة الاجرة قبل وصولها المراب. لكنه خشي اثارة شكوك سائق السيارة اكثر، تظاهر بانه يجري اتصالا هاتفيا قصيرا، اغلق الخط وطلب من السائق تغيير الوجهة نحو منطقة باب المعظم بدلا من مراب العلاوي لسبب طارئ.

لم يكن سائق الاجرة او الضبع قد لاحظ تتبع سيارة عسكرية بيك اب فورد لهما. فأكثر ما يمكن رؤيته في بغداد هو اعداد السيارات الغفيرة المختلطة بسيارات الامن الداخلي. كانت السيارة التي تتبع الضبع تقوم بمهمة اعطاء احداثيات الضبع بالتمام للنقيب فاضل مباشرة. لقد باشرت تلك السيارة ملاحقة الهدف بعد النداء الذي قام به رجل الامن من نقطة التفتيش.

كان الجندي المتقاعد (صارم) قد تلقى اتصالا من النقيب فاضل وضح له فيه الوجهة التي يجب ان يتوجه نحوها ليلتقي بهدفه (الضبع) وموقعه بالتحديد وزوده برقم سيارة الاجرة التي تقله. (صارم) هو احد جنود القوات الخاصة العراقية السابقة. شارك في معارك عاصفة الصحراء في الكويت 1991 ضد قوات التحالف واصيب حينها بجروح. يتمتع الجندي السابق الاربعيني العمر بقدرة عالية على القتال واستخدام الاسلحة. اصبح قاتلا ماجورا لعدة جهات سياسية بعد عام 2003. وبفضل علاقته به. اراد فاضل استغلاله لمصلحته الشخصية خارج واجبات المخابرات للقضاء على الضبع.

تحرك صارم من موقعه في منطقة العطيفية وسط بغداد بسيارته النيسان الصالون للالتقاء بسيارة الضبع حسب المعلومات التي تاتيه من النقيب فاضل و الذي يحصل على تلك المعلومات من سيارة الامن المتابعة للضبع. مزودا بمسدس كاتم للصوت ورغبة جامحة في القضاء على الهدف. انطلق مسرعا نحو النقطة التي توقع فيها التقاءا بسيارة الاجرة التي تقل الضبع.
بعد مرور عدة دقائق. كانت سيارة الاجرة التي تقل الضبع في منطقة شارع حيفا في كرخ بغداد تتوجه لعبور جسر الباب المعظم باتجاه مدينة الطب في قلب العاصمة. كانت المنطقة في حال مرور خفيف في تلك الاثناء ولم يكن هناك زخم لحركة للسيارات في ذلك الشارع.

بمجرد دخول سيارة الاجرة التي يستقلها الضبع الشارع، اختفت سيارة الامن الفورد و حلت محلها سيارة اجرة يستقلها عميل مخابراتي و تولت مهمة الاستمرار متابعة اتجاه الضبع.

قبل بدء عملية تتبع الضبع، كان اللواء مدير المخابرات العامة قد ابلغ مدير الشعبة الخامسة بلهجةٍ صارمة بانه سيقوم بمعاقبته و النقيب فاضل اذا ثبتت براءة الضبع من اتهامات الشعبة الخامسة له اثناء التحقيق، فالاستنفار الذي تم اعلانه في المنافذ الحدودية و المطارات كان سببه اتهام فاضل و العميد مدير الشعبة الخامسة للضبع بالقيام بعمل مشبوه في غرفة المراقبة ليلة مقتل المختار و احتمال تسببه بكارثة للمخابرات الوطنية، كفضح ما حدث في الشعبة الخامسة تلك الليلة، لذا و بعد التهديد الذي وجهه مدير المخابرات للشعبة الخامسة، فضل فاضل القضاء على الضبع على الامساك به حيا و التحجج بكون الضبع قد قاوم رجال الامن اثناء المطاردة ما ادى الى مقتله، الى جانب العداء الشخصي الذي كان بينه و بين الضبع و الذي جعل النقيب يتحين الفرص للقضاء على غريمه.

كان فاضل يعلم جيدا بخطورة تهديد مدير المخابرات العامة رغم علاقته الممتازة به، فاللواء ماهر عبد الفتاح هو احد اقوى صقور الحكومة العراقية و صاحب ذراع طويل في الوصول الى خصومه، يبلغ اللواء ماهر من العمر نحو 56 عاما وله نظرة ثاقبة وبعدٍ في التفكير، ما جعله مديرا لاحد اكثر اجهزة الدولة خطورة و حساسية.

واصلت سيارة الاجرة التابعة للمخابرات تتبع سيارة الاجرة التي يستقلها الضبع، معطية تفاصيل اتجاه سيارة الاجرة التي تقل الضبع الى فاضل، بعد قليل، وبشكلٍ مفاجئ، بدأت سيارة العجوز تعاني من خللٍ ما، بدأت تهتز كما لو ان عطلا ما قد حدث، التفت العجوز الى الضبع بابتسامة اعتذار وقال: "اسف على ذلك، ساحاول اصلاحها!".

انحرف العجوز عن الطريق المؤدي الى جسر الباب المعظم نازلا الى الطريق المؤدي الى جرف النهر، شعر الضبع بان امرا ما غير مريح يحدث.

الى الامام قليلا، باتجاه الدور القديمة الواقعة في ظهر شارع حيفا حيث يقع دجلة الى اليسار، توقفت سيارة العجوز تماما، رصفها العجوز قبل توقفها على جانب الطريق وهمّ بفتح الباب والنزول لاصلاح العطل، الا ان الضبع، ولشعوره بعدم الارتياح، امسك العجوز من معصمه وقال له: "سيدي، انا على عجلة من امري، اود دفع اجرتك واستقلال سيار اخرى"، اجاب العجوز: "لست بحاجة لذلك فلن ياخذ الامر اكثر من دقائق وتعود السيارة للعمل"، الا ان الضبع اصر على الترجل وقد خالجه شعور بخطورة الموقف.

قريبا من المكان، ترجل صارم من سيارة قام برصفها بعيدا عن اعين الضبع، وقد حمل داخل ملابسه مسدسه الكام للصوت وبقي يراقب من بعيد.

ترجل الضبع بعد ان دفع الاجرة للعجوز، عدل نظارته الشمسية واتجه للدخول في احدى الشوارع الفرعية الضيقة التي تقع على جانبيها بيوت متهرئة، كان صارم قد لحق به، ولان المنطقة كانت شبه خالية من المارة حينها، استغل صارم الوضع، وبعد خطوات من سلوك الضبع احدى تلك الدروب القديمة، حيث لم يكن يستمع سوى الى صوت وقع اقدامه لشدة هدوء تلك المنطقة، سمع صوت اقدام اخرى وراءه، اقدام مسرعة تنوي اللحاق به، اسرع في خطواته، ليسمع وقع الاقدام خلفه

يتسارع، قرر ان يطمئن نفسه بالنظر الى من يتبعه، عله لم يكن خطرا يتهدده، وما ان استدار، حتى كان اخر ما رأه، رجل اربعيني رفع بوجهه مسدس مزود بكاتم للصوت، صدر منه وميض صدئ، صاحبته هسهسة خاطفة.

برصاصة واحدة، وبفجوة حمراء في جبهته ..

قتل الضبع.

الفصل 22

"انها زنزانة الرئيس !"، قال مهدي.

بدا في التسجيل دخول عامل نظافة ببدلة صفراء وقبعة باللون ذاته، استغرب مهدي ومها دخول العامل دون وجود رجل امني يرافقه، وضع العامل عدة التنظيف في زاوية الزنزانة وبدا يكنس الارضية، كان الرئيس المختار جالسا على سريره بسرواله الداخلي فقط برغم برودة المكان، مرت خمس دقائق اكمل فيها عامل التنظيف عمله في كنس ارضية الزنزانة وهو يعطي ظهره للكاميرا، ثم اخذ معطر الجو من اغراضه في زاوية الزنزانة وبدأ يرشه في اجوائها، بدا الرئيس منزعجا كما بدا وكان مشادة كلامية وقعت بينهما.

ظهر وكان العامل بدا يعتذر للرئيس، اكمل مهدي ومها متابعة الشريط.

بعد ذلك توجه العامل الى الدولاب الصغير عند راس سرير الرئيس، كان على سطح الدولاب بعض من اغراض المختار، ساعة يده ودفتره وقلمه وبعض الادوية الخاصة بمرضه التنفسي والتي سمحت ادارة السجن بادخالها الى الزنزانة لحاجة المتهم المختار الصحية اليها، وقف العامل امام المنضدة معطيا ظهره للكاميرا، بدا ينظف سطح الدولاب بينما كان الرئيس جالسا وقد بدأ يسعل بسبب مابدا تاثير معطر الجو على جهازه التنفسي.

تابع الاثنان الشريط.

انهى عامل النظافة عمله على الدولاب وتوجه الى زاوية الغرفة ليجمع الغبار الذي راكمه في مكان ما على الارضية، امسك مكنسته وحاويته البلاستيكية واخذ يجمع الغبار، استدار الرئيس وهو يسعل الى الدولاب الحديدي واخذ من على سطحه بخاخه الذي اعتاد على استعماله في حالة شعوره بضيق في التنفس، مدد ساقيه على السرير ووضع البخاخ في فمه وضغط عليه مرتين.

قطب مهدي حاجبيه و هو يتابع.

ظهر على الرئيس علامات اختناق اشد بعد اخذه البخاخ. بدا يصارع انفاسه لعدة ثوان. و كمن كان قلبه يضخ الالم الى كل جسمه. تكور على نفسه كمن تلقى رصاصة في بطنه. ثم مد ساقه اليمنى ضاربا فراشه بكعب قدمه مرارا فيما كان يثني الاخرى. مد ذراعه اليمنى و سقط البخاخ من يده على الارضية. ثم امسك برقبته بكلتا يديه كمن يريد ابعاد اياد تقوم بخنقه. اغمض عينيه بشده وهو يحتمل الما كألم سكين تخترق خاصرته. ثم قبض بكفيه على ملاءة السرير بقوة. ضغط على اسنانه و ادار وجهه الى اليمين وقد تراخت قبضتيه على ملاءة السرير. رفع يده اليمنى قليلا فانقلبت ساقطة على جانبه. مدد ساقيه وبدات حركتهما تقل. برفسات ضعيفة اخيرة دامت ثوانٍ. اصبح الرئيس محمد المختار جثة هامدة.

اتسعت عينا مهدي وهو يتابع. فيما شهقت مها لفظاعة ما رات.

نهض عامل النظافة ونظر الى الرئيس الذي بدا بلا حراك بهدوء ادخل يده في جيب بدلته الصفراء واقترب من الجثة. وصل قريبا مخرجا ما بجيبه و اتضح مافي يده.. اسطوانة معدنية.

وقف الى جانب السرير وبدا برش محتوى الاسطوانة التي بدت كبخاخ طلاء على جدار الزنزانة الذي يجاور سرير المختار بطريقة غير عشوائية. انهى رسم الرقم 39 على الجدار. ثم اعاد القنينة الى جيبه وغطى نصف جثة الرئيس السفلي ببطانية. وبحركة غير مقصودة التفت الى الكاميرا.

صدم مهدي لما راى. كان الوجه مالوفا..

النقيب فاضل.

الفصل 23

"تم القضاء على الكبش".

بهذه الكلمات انهى صارم مكالمته الهاتفية مع النقيب فاضل الذي كان متوجها الى شارع حيفا مع اثنين من رفاقه المخابراتيين وعلى وجه السرعة. شعر فاضل بارتياح بالغ. لكنه لم يرد لجثة الضبع ان تبقى ملقاة في مكانها ولا لصارم ان يلتقي بافراد المخابرات الاخرين. اجرى اتصالا مباشرا مع العميد مدير الشعبة الخامسة ابلغه فيه بنهاية الضبع. وطلب منه ارسال اقرب دورية امن معززة بسيارة اسعاف الى مكان مقتل الضبع ريثما يصل اليه.

تنفس العميد الصعداء ووعد النقيب فاضل بارسال الدورية وسيارة الاسعاف فورا.

كان صارم يفكر بمبلغ الاربعة الاف دولار التي وعده بها فاضل لقاء انجازه المهمة. كان يجول المنطقة تحت الجسر قريبا من المكان الذي بقيت به الجثة للتاكد من عدم ملاحظة احد لما جرى.

لم تكن تلك العملية الاولى التي نفذها صارم لصالح فاضل. فقد نفذ قبل عامين عملية اغتيال لضابط جديد كان قد عين في الشعبة الخامسة. كان ذلك الضابط ملتزما و معتدا بنفسه ما دفع فاضل للاعتقاد بان منافسا له في المديرية قد وصل و قد بدا بخطف الاضواء منه امام العميد مدير الشعبة. دفع ذلك فاضل الى التخلص منه عن طريق صارم بعد اقل من شهرين على تعيينه. ساعدت علاقة فاضل باللواء مدير المخابرات على اغلاق ملف التحقيق واعتبار اغتيال الضابط الجديد عملا ارهابيا مسجلا ضد مجهول.

بعد اقل من عشر دقائق، سمع صارم صوت صفارات سيارة الاسعاف وسيارة الشرطة المقتربة، بدا يخطو سريعا تحت الجسر تاركا جثة الضبع في مكانها باحد الشوارع الفرعية الضيقة، كانت الاوامر لدورية الشرطة تطويق مسرح جريمة راح ضحيتها رجل امن و عدم رفع الجثة حالما تصل قوة من المخابرات، واصل صارم خطواته من تحت الجسر ملتفا و عائدا الى شارع حيفا، اصبح على الشارع الاخر المقابل لطريق صعود الجسر، نظر يمينا وشمالا وعبر الشارع فيما وصلت سيارة الشرطة والاسعاف الى بقعة الدم التي وصفت موقعها لهم السلطات، توقفت السيارتان وترجل رجال الامن مقتربين من موقع الحادث كما وصف لهم.

وصلوا الى جثة الضبع.
اكمل صارم تحركه نحو المنخفض تحت الجسر مجددا، القى نظرة على سيارتي الامن والاسعاف اللتان تطوقان المكان، اصبح مقتل الضبع مؤكدا لفاضل.

استمر بالحركة نحو سيارته المركونة، استقلها وتحرك بها مبتعدا.

مرت عشر دقائق قبل ان تصل سيارة شيفروليه يستقلها النقيب فاضل الى مسرح الجريمة، ركنت السيارة على مقربة من مكان مقتل الضبع وترجل منها النقيب واحد رفاقه، خطا فاضل نحو رجال الامن المطوقين للمكان وقد اخفى ابتسامة خلف قناع زائف من الشعور بالصدمة لفقدان زميل له من المخابرات على يد احدهم.

لم تشــأ المخابرات ان تعلم اجهزة الامن الاخرى بانها هي التي نفذت العملية ضد احد رجالها.

الفصل 24

في منزل مهدي، توقف الشريط بعد انتهاء محتواه. كان يشعر بضياع تام لما يجري و لم يستطع ايجاد تفسير لمقتل الرئيس من قبل المخابرات وايصال شريط الاغتيال اليه بهذه الطريقة. نظرت اليه مها وهي تخشى عليه من انفعال قد يؤذي وضعه الصحي. كان مهدي هادئا برغم كل براكين المشاعر التي فارت بداخله.

"اعيدي عرض الشريط"، قال لها.

شغلت مها الشريط الصامت مجددا. دخل عامل النظافة واغلق الباب ثم وضع اغراضه على ارضية الغرفة قرب الزاوية. انتبه مهدي الى جسم العامل، تماما بضخامة النقيب فاضل. استمر العرض لخمس دقائق نظف فيها القاتل الزنزانة، ثم جمع الغبار في زاوية الغرفة واخرج معطرا للجو بدا برشه، الامر الذي اغضب الرئيس.

"انه يعلم تماما بحساسية الرئيس لمعطرات الجو والغبار"، قال مهدي.

"اتفق معك استاذ. انه يدفعه الى استخدام البخاخ"، ردت مها، "هذا مافهمته".

حدثت المشادة بين الرئيس والقاتل، اعتذر القاتل للرئيس وتوجه نحو الدولاب، اكمل تنظيفه عليه بينما كان الرئيس يسعل وهو يرتدي سرواله الداخلي فقط.

"هل ان جو الزنزانة حار الى هذا الحد استاذ ؟ برغم اننا في يناير !"، سالت مها.

"الاجواء في الزنزانة دافئة بسبب منظومة التكييف فيها. المختار يعاني من حساسية جلدية في الشتاء من الدفء المفرط والحالات العصبية. ذلك يسبب له حكة جلدية مؤلمة ما يجعله يفضل البقاء بعيدا عن الملابس والاقمشة خصوصا الصوفية منها".

انهـى القاتل تنظيف سـطح الدولاب وهـم بالابتعاد، فجأة قال مهـدي: "اوقفي الشريط !".

اوقفت مها عرض الشريط، ركز مهدي على بخاخ الرئيس على الدولاب.

"هل لاحظت ؟"، قال لمها.

"لاحظـت ماذا اسـتاذ ؟"، ردت، "اعيـدي المقطع وانتبهي الى البخـاخ"، قال مهدي وعينيه جامدتان على الشاشة، اعادت مها عرض المقطع منذ بدء العامل بتنظيف سطح الدولاب.

كان البخـاخ بشـكله ذو الحرف F قبـل تنظيف القاتل لسـطح الدولاب الحديدي يشـير براسه الذي يوضـع في الفم الى جدار الزنزانة القريب، وبعد ان انتهى القاتل من تنظيف الدولاب اصبح يشير الى الاتجاه المعاكس.

"اتقصـد اتجاه البخاخ ؟"، قالت مها، "تماما، لقد قام باسـتبداله اثناء عمله على سطح الدولاب عندما كان ظهره معطى للكاميرا"، اجاب هو.

ابتعد القاتل عن الدولاب و راح يجمع الغبار عن ارضية الغرفة، مدد الرئيس ساقيه على السرير و تناول البخاخ، ضغطتين، و بدا يعاني الاختناق، تمدد على سريره و ظهر عليه تصـلب اعصـابه، بدا يثني سـاقيه و يمدهما كغريق يحاول التقاط نفسه الاخير، سقط منه البخاخ على ارضية الزنزانة ثم ما لبث ان اصبح جثة بلا حراك.

"مالذي في البخاخ بحق السـماء !"، قالت مها و هي تشـعر بتسـارع نبض قلبها لمنظر الرئيس وهو يحتضر رغم انها تشاهد الشريط للمرة الثانية.

"لا ادري، و لكـن يبـدو انها مادة فتاكة، لقد قتلته بسرعة"، رد مهدي و هو يمسـح شعره.

نهض القاتل من الارض و اخرج بخاخ الطلاء بعد ان تاكد من موت الرئيس. رش محتواه على الجدار راسما الرقم 39. بدا الرمز الذي رسمه واضحا جدا على الجدار. اكمل رسمه الرمز و التفت الى الكاميرا فيما بدا و كانه حركة غير مقصوده. اوقفت مها الشريط.

حدق مهدي الى وجه النقيب فاضل الذي تنكر بزي عامل نظافة للقيام بفعلته. كان مهدي متاكدا من ملامح نقيب المخابرات ذاك. دار الف سؤال في ذهنه. جريمة قتل موكلي. تنفذ داخل سجن الشعبة الخامسة. واحدهم يوصل الشريط اليه. ويبدو على الشريط صورة القاتل ! الامر في غاية التعقيد.

بعد ثوان من استئناف مها للعرض. انتهى الشريط.

"اعطني وحدة الذاكرة". قال مهدي بهدوء.

انتزعت مها وحدة الذاكرة"الرصاصة" واعطتها اليه. غطى راسها بغلافها واخذ الظرف الورقي من على المنضدة لاعادتها اليه و اخفائها الى وقتها المناسب. فتح الظرف ليضع"الرصاصة". تسمرت عيناه على داخل الظرف. بدا كانه ينظر الى شئ ما.

وضعت مها الحاسب المحمول على المنضدة و نظرت الى استاذها. "هل من خطب ما استاذ ؟".

مد مهدي اصابعه الى داخل الظرف و اخرج ورقة منه كانت ارفقت مع وحدة الذاكرة. فتح الورقة. اقتربت مها براسها منه لترى محتواها معه. تناول مهدي نظارته الطبية من على المنضدة و وضعها و فتح الورقة و نظر الى محتواها. كان الخط غير متقن و يبدو كانه كتب بيد تضغط على قلم الحبر كثيرا:

"لقد قتلته المخابرات. هذا ما سيؤكد لك".

و في طرف الورقة السفلي الايسر كان التوقيع:

"عاشق المختار".

الفصل 25

الثانية عشرة ظهرا بتوقيت بغداد.

على مـــدرج مطـار بغداد الدولي، وكوحش ابيض مخطـــط باللون الاخـــضر، هبـــطت طائـــرة الـــ"Boing 777" التابعة للخطـوط الجوية العراقية قادمة من برلين و على متنها البرفيســور في الطب العدلي الدكتور سالم جرجيس، والذي طلبت منه الســلطات في بغداد قطع حضـــوره لمؤتمر الطب الشرعي هناك و قيام احد مســاعديه بالاحلال محله، حيث كانت برلين تحتضـــن ذلك المؤتمر الذي تقيمه الاكاديميـــة الدولية للطب الشرعي IALMو يحضره العشرات من ممثلي الدول من الخبراء و المختصـــين في الطب العدلي و العلوم العدلية لمناقشـــة تطوير هذا النوع من العلوم وفق القوانين المعاصره.

لم يكن البروفيســـور جرجيس على علم بسبب الاســـتدعاء الطارئ وان ما ينتظره هو جثة بحاجة الى تشريح تعود الى رئيس الجمهورية الســـابق، رغم ان اســـتقباله كان قد تم من قبل ضابط مخابرات رفيع في المطار و رافقه بسيارات مدنية الى جهة كانت لا تزال مجهولة بالنسبة له.

يُعرف البروفيسور سالم جرجيس بشيخ الاطباء العدليين العراقيين، حيث يبلغ من العمر 62 عاما و هو ينتمي الى الديانة المســـيحية، يتميز بطوله الفارع والشـــيب على على جوانب شعره، تضع الدولة ثقتها به في الازمات الجنائية لتاريخه الطويل في خدمتهـــا و تقديمـــه التقارير التـــي تريدها الســـلطات للراي العام بمـــا يتفق مع المصلحة العليا للبلاد.

استمرت عجلات المخابرات التي تقل البروفيسور بالتوجه نحو هدفها ببغداد. فيما تم وضع جثمان محمد المختار في احدى ثلاجات الموتى مغطاة تحت حماية امنية مستمرة من قبل عناصر المخابرات لمنع اي عامل في الموقع من الاطلاع على هوية الضحية.

الفصل 26

كان فاضل يقف متخصرا وهو ينظر الى جثة غريمه التي كانت ملقاة في شارع فرعي قديم في تلك المنطقة المحاذية للنهر. كانت فجوة كبيرة قد تسببت بها رصاصة صارم بجبهة الضبع تبدو واضحة وقد احدثت الدماء التي سالت منها بركة تحت راس الجثة. نظر الى عيني الضبع الحادتين وقد انطفأ نورهما و بردت حدتهما. فيما راح خط رفيع من الدماء يسير كقطار بطئ بين حبات التراب على الارض متجها نحو الشارع الموازي لمنخفض النهر العريض.

لم تفارق عينا فاضل وجه الضبع الممدد على الارض. استدار وطلب من احد رجاله تفتيش الجثة بعد ان امر رجال الامن الاخرين الابتعاد عنها وتوسيع طوقهم حول مسرح الجريمة. فتش احد رجال المخابرات المرافقين لفاضل ملابس الضبع و اخرج جواز سفر و تذكرة سفر الى تركيا من ملابسه الى جانب اوراق ثبوتية كمنتسب بجهاز المخابرات واوراق نقدية عراقية ونحو 300 دولار امريكي.
لم يتم العثور على اي شئ يدعو للشبهة.

استدار فاضل و امر سائق سيارة الاسعاف بالاقتراب ليتم نقل الجثة نحو الطب العدلي. كان يشعر بان موت الضبع قد انهى فصلا متعبا من يومه هذا.
لن يتعرف احد الى ما قمت به.

ابتسم وهو يشاهد جثة الضبع تدخل الى حوض سيارة الاسعاف طاويةً معها صفحة مطاردة متعبة.

لم يكن مهدي متاكدا من ان مرسل الشريط اليه هو شخص (فاعل خير) حقا ام هي لعبة اخرى من المخابرات. كانت مها تجلس امام استاذها وهي تنظر الى الورقة المرفقة بالظرف في يديها. طوت الورقة واعادتها الى الظرف ووضعت وحدة الذاكرة معها.

"استاذ ؟". نظر اليها مهدي الذي كان يعبث بعلبة السكائر امامه على المنضدة.
"انت متاكد من ان الشخص الذي ظهر في الزنزانة هو ضابط المخابرات الذي التقيت به في الامس ؟".
"تماما مها. تماما !".
"لاريد ان اكون فضولية استاذ. وقد يكون سؤالي يتعلق باحد اسرارك كمحامي للرئيس. لكنني اتسائل فيما اذا كان هناك اي حديث قد جرى بينك وبين الرئيس من قبل يتعلق بالرقم 39. ارصدة في بنوك. رقم عقار. سلاح سري.. شئ من هذا القبيل".
حدق اليها مهدي وغاص في شريط لقاءاته مع المختار. ركز تفكيره على كل لحظة التقيا فيها قبل اعتقاله واثناء لقاءاته الفردية به. كل مايتذكره بخصوص هذا الرقم هو..
فراغ تام.

هز راسه لها نافيا وعيناه جامدتين في فضاء الغرفة.

"استاذ. رسالتان في يوم واحد. الرقم على جدار الزنزانة ورقم الاية. جرب ان تربط الاسرار التي افصح لك الرئيس عنها وان تجد العلاقة بينها وبين الرقم".
"مها. لم يذكر لي الرئيس اي شئ يتعلق بهذا الرقم من قبل. انا متاكد".

شاهت مها بعينيها في الغرفة وهي تضم شفتيها مفكرة في سؤالها التالي.
"و ماذا تعرف عن علاقة الرئيس بالقراصنة الافارقة الذين سالته عنهم المحكمة؟".

عدل مهدي جلسته ونظر اليها. اشعل اخر سيكارة في علبة سكائره واخذ نفسا منها ثم قال:
"نعم. اتهمت المحكمة الرئيس بتقديم المعلومات والسلاح سرا الى عصابات من قراصنة افارقة - صوماليين خصوصا - للقيام بعمليات استيلاء على سفن وناقلات نفط عالمية من التي تنقل النفط و الشحنات التجارية بين الشرق الاقصى و الاوسط من جهة، واوربا من جهة اخرى عبر البحر الاحمر وقناة السويس. حيث كان الرئيس يدعم عمليات السيطرة على تلك السفن من قبل اولئك القراصنة الذين يقومون بعد الاستيلاء عليها بمطالبة الشركات والدول المالكة لها بفدية تصل احيانا الى ملايين الدولارات لقاء اطلاقها. كان الرئيس يستخدم المعلومات التجارية والاستخباراتية التي يحصل عليها عن حركة تلك السفن ويزود بها اولئك القراصنة عبر سلسلة من الاشخاص والمنظمات التي توصل المعلومة حتى تبدو تلك المعلومة قادمةً من جهة غير معروفة. الى جانب شراء الاسلحة عن طريق اشخاص و شبكات وتزويد القراصنة بها بصورة غير مباشرة. ورغم اني نفيت تلك التهم عنه في المحكمة. الا انه كان قد اخبرني بانه قد قام بذلك فعلا".

ادخلت مها اصابعها في شعرها و ارجعته الى الوراء.
"اتقصد ان الرئيس كان يدعم القرصنة و الارهاب ؟!".

"سالته عن سبب ذلك. قال لي: مهدي. القائد الناجح هو الذي هو الذي يكسب المعركة قبل ان يخوضها. لقد شرح لي بانه لم يقم بذلك من اجل القرصنة و تقاسم الاموال مع القراصنة البته. بل ان القراصنة انفسهم لم يكونوا يعرفون الجهة التي توصل لهم المساعدة الاستخبارية و الاسلحة بسبب كثرة الوسطاء

الذين استخدمهم المختار لدعمهم، مها المختار كان اذكى من استخدام قراصنة لكسب المال".

"كيف ؟".

نفث دخان سيكارته و نفض رمادها في منفضة على المنضدة و اكمل..

"لقد اخبرني بالسبب، لقد قام بذلك لجعل ممر باب المندب غير امن بنظر الملاحة العالمية، ليدفع بالسفن المستخدمة لهذا الممر الى سلوك طريق اخر، اراد ان يدفع الملاحة الى المرور عبر مضيق هرمز ثم الخليج العربي فموانئ البصرة، حيث تفرغ الحمولات في موانئ الفاو و تنتقل عبر القنوات الجافة عبر ارض العراق نحو اوربا عبر خط البصرة – برلين، ذلك سيدر على العراق مليارات الدولارات سنويا، هذه كانت الجائزة التي ارادها المختار، لم يكن يقصد الفائدة الشخصية، بل العائدات الوطنية".

استغربت مها دهاء المختار و قالت:

"ممم، و ما علاقة ذلك بالمعركة التي قال لك بان عليه ان يكسبها قبل ان يخوضها؟".

"كان يشعر دائما بشبح المشكلات الاقتصادية العالمية، وفي الوقت ذاته مهووسا بترسيخ اقتصاد وطني متين، يعتمد على جني العائدات للعراق من مختلف المصادر حتى غير الشرعية منها، ما دفعه الى اقتراف بعض المخالفات الكبيرة من اجل تدعيم فكرته تلك، و بعد ان كشفت ملابسات ذلك من قبل جهات عالمية، لم يفهم سياسيو البرلمان الجديد السبب الحقيقي وراء ما قام به، فقاموا بتحريض القضاء ضده و اتهامه بالقيام بتلك الاعمال لتعزيز ثروته الشخصية، و موجهين له اتهامات دعم الارهاب العالمي و مشاطرة الارهابيين غنائمهم".

ابتسمت مها نصف ابتسامة و قالت:
"لكن استاذ، مبدأ الغاية تبرر الوسيلة ليس صحيحا دائما !".

"في السياسة كل شئ مباح مها، الشئ الوحيد الاكيد بالنسبة لي هو ان المختار لم يختلس شيئا لنفسه، بل قام بتلك الاعمال غير الشرعية من اجل ضمان مستقبل البلاد و تنويع مصادر الدخل".

"هل كانت هذه هي المخالفة الاكبر التي قام بها الرئيس استاذ ؟".

"لا اعلم ايا منها يمكنني اعتباره مخالفة، او ان اسميه عملا من اجل مصلحة البلاد، لقد كان المختار حذقا و يمتلك من الدهاء ما يصعب تصديقه".

"مم، جواب دبلوماسي !"، قالت مها ضاحكة.

"يمكنك اعتباره كذلك، صدقيني انا ووالدي نعرف الرئيس محمد المختار اكثر من اي عراقي اخر، لقد كان مجنونا بجعل العراق يعود لوضعه الطبيعي اقتصاديا و سياسيا و عسكريا، و اولى الخطوات لتحقيق ذلك كانت بنظره هي تحقيق الاستقرار الاقتصادي و جني العائدات الكبيره التي تعتمد على مصادر اخرى غير عائدات النفط، الم تذكري خطاباته الكثيره التي كان يشير بها الى العراق بعبارة "بلاد الشمس"؟، كان يحب تسميته كذلك اعتزازا بتسمية السومريين لبلادهم بذلك الاسم".

"نعم، اذكر ذلك !".
"لقد كان ينظر للعراق كنوح الذي يجب ان يعمر ارضه بعد الطوفان".

قالت مستغربة: "الطوفان ؟".
"بلى، سالته ذات مرة ان كان يعتبر ما حدث بعد عام 2003 هو الطوفان، هز راسه بالنفي و قال لي: مهدي ذلك الطوفان الذي حدث في العراق ثم المنطقة باجمعها سيكون ضئيلا قياسا بما سياتي !".

اتسعت عينا مها و هي تنظر نحو استاذها: "ايقصد ان حرب 2003 و ما تلاها من حروب و صراعات داخلية في العراق و بعض الدول الاخرى سيكون ضئيلا امام المجهول القادم ؟".

اجاب مهدي: "بالضبط، و على مستوى العالم!".

تزاحمت الافكار في راس مها كفقاعات تتصارع كل منها لتكون الاولى بالطرح على استاذها، شعرت لوهلة بفقدان الامان من المستقبل و شئ من الضياع لكلمات استاذها التي ينقلها عن رئيس بلادها السابق، والذي رحل تاركا العديد من الاسئلة بلا اجوبة.

رن الهاتف المحمول في حقيبتها قاطعا سلسلة افكارها، اخرجته منها و ردت على الاتصال، كانت والدتها قد اتصلت للاطمئنان عليها و طلبت منها العودة قريبا لحاجتها اليها، فهي تعاني من تنخرٍ حاد بمفصل كتفها الايمن، و تستعد للسفر الى تركيا لتلقي العلاج هناك.

"اصبح من الضروري ان اعود لمنزلي استاذ، تاخرت على والدتي كثيرا".
"حسنا مها، حاولي ان تفكري معي بالرقم 39، فعقلان يفكران افضل من عقل واحد !".
"اعدك استاذ".

توجهت مها مغادرة بيت استاذها وعائدة الى بيتها في شارع فلسطين. اوصلها مهدي الى باب منزله و اوما اليها مودعا.

في غرفة المعيشة بمنزله. بقيت الرصاصة في ظرفها على المنضدة مع الورقة المذيلة باسم"عاشق المختار". و الى جانب الظرف تركت الاقراص الثلاثة ذات الاعادات السبعة. جميعها بانتظار حل اللغز.

الفصل 27

كان النقيب فاضل يستقل سيارة الشيفروليه ذات الدفع الرباعي مرافقا بها سيارة الاسعاف التي تحمل جثة الضبع والمتوجهة نحو دائرة الطب العدلي، تتبعهما سيارة شرطة.

شرد بذهنه وهو ينظر من زجاج نافذته متذكرا احداث الليلة السابقة في الشعبة الخامسة. تذكر لقاءه الاخير مع اللواء ماهر عبد الفتاح مدير المخابرات العامة قبل ثلاثة ايام حينما اوكل له اللواء مهمة قتل الرئيس المختار في سجنه بشكل سري على ان تنفذ العملية بدون علم اي فرد اخر في المخابرات، عدا ضابط واحد كان اللواء يثق به جيدا الى جانب فاضل، فيما ابقى الامر سريا على كافة منتسبي الشعبة الخامسة بما فيهم العميد مدير الشعبة.

اطلع اللواء فاضلاً على تفاصيل العملية و ساعة التنفيذ. كان النقيب فاضل قد امر رفيقه (الضابط الظل) باحداث مشكلة في منظومة كاميرات المراقبة في المبنى الثاني بشكل سري، نفذ الضابط الظل الامر وتوقفت معظم كاميرات المبنى المجاور عن العمل، توجه فاضل الى العميد مدير الشعبة و نصحه باستنفار كافة الضباط العاملين في غرفة مراقبة المبنى الرئيسي لاصلاح العطل في منظومة مراقبة المبنى المجاور على ان يبقى مساعده (الضابط الظل) في غرفة المراقبة وحيدا ليراقب صور الكاميرات الموزعة في المبنى الرئيسي.

اثر ذلك، امر العميد ضباط غرفة المراقبة بالتوجه فورا لاصلاح الخلل في منظومة مراقبة المبنى الثاني، بقى الضابط الظل وحيدا امام شاشة العرض التي تنقل صور كاميرا مراقبة الزنزانة 12، تحرك فاضل سريعا وتوجه لتغيير ملابسه متنكرا

بـزي عامـل نظافة، نفذ عملية اغتيـال الرئيس المختار بغاز قاتـل، ثم التفت نحو الكامـيرا وظهـر وجهه، انهى عمليـة الاغتيال واخذ معه بخـاخ الرئيس من على الارض و اعاد البخاخ الاصـلي على الدولاب وترك الزنزانة ثم خرج لارتداء ملابسـه الاعتيادية، كانت مهمة الضـابط الظل الاحتفـاظ بالشريط الذي يظهر به وجه فاضـل بمكان سري على جهاز الحاسوب لوقت لاحق يعود فيه فاضل لسحب ذلك الشريط، و ترك الشريط المقتطع منه ذلك المشهد في مكانه الظاهر على الجهاز. كان التفات فاضل الى الكاميرا مقصودا، فقد اراد ايصال الشريط الكامل الى اللواء ماهـر ليطلعه على انه قد نفذ المهمة بنفسـه و بمنتهى الحرفية، فيما سـيبقى الشريط المقتطع من حصة الشعبة الخامسة خافيا معه وجه النقيب القاتل.

اثنـاء قيام فاضـل بالمهمـة و دخوله الزنزانة، غادر الضـابط الظـل غرفة المراقبة متظاهـرا بدخولـه دورة المياه المجاورة، تزامـن خروجه منها مع خروج فاضـل من الزنزانة، كان هذا ما صورته كاميرا المراقبة الموجودة في غرفة المراقبة نفسها.

بعد دقائق، عاد ضـباط غرفة المراقبة الى مواقعهم بعد اصلاح الخلل في منظومة كاميرات المبنى المجاور دون التنبه الى موت المختار، فقد بدا من خلال الكاميرات انه يغـط في نومـه ممددا على سريره، حتـى تنبه احدهم الى عدم حـراك الرئيس لفترة ليسـت قصـيرة، في الوقت ذاته، تنبه احـد الحراس القريبين من الزنزانة الى وضـع الرئيس غير الطبيعي وعدم تحركه وابلغ سـلطات المديرية، وعندما وصـل الامر الى العميد اسـتدعى فاضل وتوجه معه نحو غرفة المراقبة لمشاهدة شريط تسجيل الكاميرا 12، شاهد العميد وفاضل الشريط الذي ظهر عليه قطع الثانيتين اختفى فيهما وجه عامل النظافة، غادر العميد غرفة المراقبة وطلب شرطة الادلة الجنائية وابلغ اللواء مدير المخابرات هاتفيا بما جرى.

في غضـــون ذلك، اقنع فاضل العميد بضرورة اتخاذ تدابير تطويق الجريمة وانه يجب تحذير ضـــباط المراقبة والمنتســـبين الاخرين من البوح خارجا باي كلمة عن ماحدث، شـــعر العميد بضرورة ذلك، فاستدعى ضباط المراقبة الى غرفته من اجل تحذيرهم من الافصاح عما حدث خارجا حتى اشعار اخر وضرورة الحفاظ على شريط الزنزانة 12 لمساعدة الادلة الجنائية على رؤية اخر لحظات المختار قبل وفاته.

في تلك الاثناء و مســـتغلا خلو غرفة المراقبة مرة اخرى، كان فاضل متوجها نحو تلك الغرفة للقيام بعملية نسخ الشريط الاصلي لايصاله الى اللواء ماهر ليتاكد بنفسه من تنفيذ فاضل للمهمة ومن ثم مسحه بشكل نهائي، لكنه فوجئ بوجود الضبع داخـــل الغرفة، فقـــام باخراجه منها واغلاق الباب على ان يعود اليها بعد ان يتاكد من مغادرة الضبع للرواق كي لايثير الشكوك، فيقوم بنسخ الشريط الاصلي ثم مسحه وابقـــاء الشريـــط ذو القطع، الا انه شـــعر فجاة بامكانية كون الضـــبع قد اطلع على محتوى جهاز الحاســـوب الخاص بكاميرا الزنزانة 12 و رؤية الشريط الاصـــلي ومعرفة الفاعل الحقيقي، خصوصـــا و ان الضـــبع يحمل دهاءا حاســـوبيا خطـــيرا و بامكانه البحث عن الاسرار في جهاز الحاســـوب و من بينها الشريط الاصـــلي الذي يظهر وجه فاضـــل كفاعل للجريمة، فعاد مسرعا الى غرفة المراقبة واجرى عملية مســـح سريعة للشريط المقتطع ونسخ الشريط الاصلي ومن ثم مسحه هو الاخر، ثم اتهم الضبع بالقيام بمسحه لابعاد الشبهات عنه وللقضاء على الشريط الذي قد يدينه.

كان فاضـــل يشـــعر بان دخول الضـــبع للغرفة هو مصـــادفة رائعة بالنســـبة له، فالعداء الشخصـــي وابعاد الشـــبهات كانا السببين الرئيســـيين لاتهامه الضبع بالقيام بالجريمة واقناع مدير المخابرات بضلوع الضبع فيها، لذا تحمل عناء مطاردة الضـــبع والقضاء عليه باستخدام يد من خارج المخابرات لم يعلم بها اللواء ماهر نفسه، عصـــفورين بحجر واحد، تنفيذ العملية على اتم وجه، والقضاء على غريم، وعصفور ثالث: ابعاد الشبهات.

لكن برغم دهاءه في تنفيذ العملية، لم يعلم فاضل بما قام به الضبع من بحث ذكي على جهاز الحاسوب وايجاد الشريط الاصلي ونسخه وايصاله الى المحامي، رغم ذلك، كان يشعر بانه قد تخلص من امكانية ايجاد دليل ملموس ضده في قضية اغتيال الرئيس.

اما الضبع، فكانت له دوافع لتصرفه هو الاخر، فقد قام بعملية النسخ و ايصال الشريط الى المحامي ليله للرئيس المختار، و شعوره بان الرئيس قد تم عزله ظلما عن الحكم، و فيما بعد قتله على يد النقيب فاضل، الضابط الذي له تاريخ عدائي طويل معه، فقد كان الضبع ينظر لفاضل كخنزير بري يتمرغ في الوحل من اجل ارضاء سادته في جهاز المخابرات مهما طلبوا منه.

قطع وصول السيارة الشيفروليه وسيارة الاسعاف الى دائرة الطب العدلي شريط ذكريات الليلة السابقة براس النقيب فاضل، دخلت السيارتين الى الدائرة فيما توقفت سيارة الشرطة خارجا.

الفصل 28

كانت سيارات المخابرات قد دخلت توا الى المنطقة الخضراء مستصحبة معها البروفسور سالم جرجيس. دخلت العجلة التي تقل جرجيس وحيدة الى المنطقة الرئاسية وتوجهت الى احدى المقار الصغيرة حيث تنتظر البروفسور شخصية هامة في الدولة.

تحتل المنطقة الخضراء الرئاسية مساحة شاسعة في كرخ بغداد تمتد من الضفة الغربية لنهر دجلة الى متنزه الزوراء شمالا والحارثية غربا والجسر المعلق الرابط بمنطقة الجادرية جنوبا. وتحتضن القصر الجمهوري العراقي الرئيس وهو مقر رئاسة الجمهورية والذي يعتبر اهم قصور الخضراء واكبرها ويمكن مشاهدته من الضفة الشرقية لنهر دجلة وهو يطل بقبته الخضراء المائلة للزرقة. اتخذته القوات الامريكية مقرا لها بعد اجتياح العراق عام 2003. و الى جانبه. تتوزع في المنطقة الرئاسية تلك مجموعة قصور اخرى بينها قصر السجود وقصر السندباد وقصر عدنان وقصر المؤتمرات اضافة الى مقار حكومية هامة اخرى كمبنى رئاسة اركان الجيش العراقي ومقر وزارة الدفاع. كما تضم اليوم مقر السفارة الامريكية في بغداد التي تعتبر اكبر سفارة للولايات المتحدة في العالم باسره.

تطوق الخضراء بسور منيع من الحواجز الكونكريتية واجهزة كشف المتفجرات ومنظومات مراقبة وقوات نخبة لحمايتها. كما واصبحت بعض الشواخص العراقية كالنصب التذكارية ضمن اسوارها كنصب الجندي المجهول وساحة الاحتفالات الكبرى. الى جانب ساعة بغداد التي اصبحت مقرا للمحكمة الاتحادية العراقية العليا في البلاد.

تعكس مباني المنطقة الخضراء الفن المعماري العباسي في تصاميمها، كما توحي بجنون العظمة الذي كان يسيطر على الرئيس صدام حسين و الذي قام ببناء العديد من القصور والنصب التذكارية في تلك المنطقة، حيث لم يكن في الخضراء غير القصر الجمهوري وقصر المؤتمرات قبل تسلم صدام للسلطة عام 1979، لكنه توسع فيها ببناء تلك الشواخص الكبيرة، حيث ان من اهم ما بناه صدام عاكسا شغفه بالحروب قوس النصر القائم على ساحة الاحتفالات والذي يتكون من سيفين متقاطعين تمسك بهما كفوف برونزية ضخمة شبيهة بكفيه يتوسط تقاطعهما علم عراقي، وتتناثر تحت كفوف ذلك القوس نحو 5000 خوذة لعدد ماثل من القتلى الايرانيين كان صدام قد امر باستقدامها من جبهات القتال ابان الحرب العراقية الايرانية لتوضع تحت كفيه العملاقين، ليستعرض تحتهما الجيش العراقي في السادس من يناير من كل عام، حاولت الحكومات العراقية بعد 2003 ازالة ذلك النصب لكن منظمات عراقية وامريكية عارضت بشدة، فتم اعادة ترميمه وعاد الجيش يستعرض تحته بعد ازالة الخوذ العائدة للقتلى الايرانيين.

ادخل جرجيس الى المقر بصحبة ضابط المخابرات وتمت ضيافته بانتظار الشخصية التي ارسلت بطلبه.

.....

في تلك الاثناء، كانت استعدادات غريبة تجري في احدى قاعات القصر الجمهوري في المنطقة الرئاسية، حيث ستستخدم تلك القاعة لاول مرة هذا النوع من الاستخدام.

الجميع بانتظار الساعة السادسة.

الفصل 29

لم يكن المقر الصغير الذي كان فيه جرجيس مالوفا بالنسبة له، ولم يكن يحمل اية صفة رسمية او حتى لافتة تشير الى ماهيته، ماجعل التنبؤ بالشخصية القادمة صعبا عليه.

كانت قد مضت نصف ساعة على وصول البروفيسور الى ذلك المقر في المنطقة الخضراء، قدم له خلالها كوبين من الشاي تباعا، كان يراقب الساعة المعلقة على الجدار امامه منتظرا الشخصية التي سيقابلها، فيما راح ذهنه شاردا يحاول ان يحزر السبب الذي جعل السلطات تطلب منه العودة الى بغداد على جناح السرعة وقطع مشاركته في مؤتمر برلين، الا انه وبعد غرقه في التفكير، عاد الى الواقع حوله عندما دخل رجلان ببدلات سوداء وقد فتحا الباب ووقفا عند جانبيه، حيث يؤدي ذلك الباب الى الصالة الصغيرة التي ينتظر فيها جرجيس.

ركز البروفيسور نظره الى الباب امامه مباشرة بانتظار الشخص المسؤول الذي سبقه رجال حمايته الى داخل المقر الصغير، لاح قادما نحو الباب رجل بقامة مملوءة ومتوسطة الطول واضعا نظارة شمسية، زرر بدلته بعد ان ترجل من عجلة صالون كانت تقله، وصل الى الباب وخلع نظارته حالما القى السقف بظله عليه، تراءى لجرجيس ذلك الرجل كشخص مالوف.
اللواء ماهر عبد الفتاح مدير المخابرات العامة.

ما ان وصل اللواء منتصف القاعة في المقر الصغير، حتى بدت على وجهه تعابير ابتسامة مجاملة سددها الى البروفسور جرجيس، نهض البروفسور مرحبا باعتى شخصيات الدولة على الاطلاق، اطلق اللواء كلمات باردة صاحبت مصافحة سريعة ليد جرجيس، جلس قريبا من البروفسور بعد ان فتح ازرار بدلته، سحب نفسا واطلق زفيرا..

"كيف كانت الرحلة الى بغداد بروفسور ؟"، قال اللواء وهو ينظر الى نفسه بعدسة نظارته الشمسية في يده.

"لا باس، طول الطريق امر متعود عليه سيادة اللواء".

رمق اللواء الرجلين عند الباب، اختفيا خارجين من المقر الصغير و اغلقا الباب خلفهما، وضع اللواء نظارته على المنضده امامه و نظر الى البرفيسور جرجيس.

"بروفيسور، لابد ان تكون متلهفا لمعرفة سبب استدعاءنا لك".

اوما البروفيسور براسه.. واكمل اللواء:

"هناك عملية قتل حدثت الليلة السابقة لشخصية تتسلط عليها الاضواء السياسية العالمية في الوقت الراهن، نحتاج الى وطنيتك المعهودة لتجنب بلادك مشاكل مع دول اخرى".

نظر البروفيسور الى اللواء بعينين تريدان سحب المزيد من الكلمات، سحب اللواء نفسا عميقا و اكمل:

"لقد اغتيل الرئيس المختار ليلة امس!".

احس البروفيسور سالم جرجيس بكلمات اللواء كسكاكين اخترقت اذنيه، تبطأت امامه صورة الرجل و شعر بصوت نبضه يسري في صدغيه.

"عفوا سيدي ؟".

-"نعم بروفيسور، تعلم بان العديد من الدول تنتظر نتائج محاكمة المختار بعد

ان رفعت هي الاخرى دعاوى عليه امام المحكمة الاتحادية العراقية بخصوص دعم الارهاب و عمليات غير شرعية اخرى، يجب ان نظهر للعالم بان المختار قد توفي فجأة دون تعرضه للاغتيال، و الا فان هذه الدول ستتهمنا بقتله لاخفاء جرائمه، و بالتالي تشركنا ايضا في دعاواها القضائية وهذا سيدخلنا في ازمات سياسية لا نهاية لها".

"وهل تعرفتم الى القاتل ؟".

"لا يهم، المهم الان ان تجري عملية التشريح كعمل روتيني حتى امام الحكومة، و تخرج بتقرير طبي يعكس شفافيتنا بالتعامل مع القضية لتؤكد فيه وفاة المختار بشكل طبيعي، سمعتك الدولية ستسهل تقبل المجتمع الدولي للتقرير الذي ستصدره".

اطبق الصمت على البروفيسور جرجيس الذي وجد نفسه فجأة وسط دوامة معقدة من الاحداث، مسح شعره بكفه ناظرا الى اللواء.

"سيادة اللواء، اين هي الجثة الان؟".

"تحت الحراسة المشددة في الطب العدلي، بروفيسور، مهما يكن سبب الوفاة فان المختار توفي بسكتة قلبية مفاجئة".

هز البروفيسور جرجيس راسه و هو يشعر بالارض تدور من تحته، نهض اللواء و زرر بدلته و صافح البروفيسور الذي نهض معه.

"بالتوفيق في مهمتك بروفيسور، سترتاح قليلا في غرفة باحدى المباني القريبة قبل توجهك الى العمل".

"شكرا سيادة اللواء".

ادار اللواء ظهره للبروفيسور ماشيا نحو الباب، فتح الرجلان الباب على مصراعيه و اختفى اللواء تحت ضوء الشمس الشتوية خارجا.

بعد ساعة، كان البرفيسور جرجيس يقطن في مبنى قريب يحتوي على شقة صغيرة داخل المنطقة الرئاسية لاخذ قسط الراحة الذي وعد به اللواء، استعدادا لتوجهه الى مبنى دائرة الطب العدلي حيث تنتظرة قضية بالغة التعقيد.

الفصل 30

الرابعة عصرا بتوقيت بغداد.

كان التعب من التفكير قد انهك المحامي مهدي العلي جاعلا اياه يستسلم لغفوة هشة على اريكته امام منضدة وضعت عليها خيوط اللغز معا مع منفضة رماد برزت منها اعقاب سكائر كانها شواخص قبور عشوائية غرزت على تراب رمادي.

تسلل الى اذنيه صوت النغمة الافتراضية لنقاله معيدا اليه وعيه من غفوته. فتح عينيه و نظر الى مسرح الاشياء الكئيبة امامه. تناول نظارته الطبية و وضعها و القى نظرة الى شاشة النقال: "مها الطالبة".

اجاب على الاتصال:

-"الو. نعم مها. اهلا بك..".

على الطرف الثاني من المكالمة شرحت مها للاستاذ ما شاهدته على التلفاز.

كان التلفزيون الحكومي قد اعلن انه يسترعي انتباه المشاهدين الى ان وزارة الداخلية ستقيم بعد قليل مؤتمرا صحفيا هاما يعرض على الهواء مباشرة بحضور صحفيين و مراسلي قنوات و وكالات انباء. لكنها لم تفصح عما سيكون المؤتمر بشأنه. طلبت مها منه متابعة القناة الحكومية لمعرفة ما سيتم طرحه في ذلك المؤتمر. انهى مهدي الاتصال معها و شغل التلفاز عارضا القناة الرسمية بانتظار وقائع ذلك المؤتمر"الهام".

ستفصح السلطات عما حدث بالتاكيد.

في تلك الاثناء، كان عدد كبير من مراسلي القنوات و الصحف المحلية والعالمية قد توافدوا على الموقع الذي ستجري فيه وقائع ذلك المؤتمر، الا ان الجميع لم يحضر مؤتمرا تقيمه وزارة الداخلية في السابق في هذا الموقع بالذات، فقد اعتاد المراسلون على الحضور في قاعة المكتب الاعلامي لوزارة الداخلية في مبنى الوزارة نفسه وسط الرصافة، لكنه هذه المرة يعقد بشكل استثنائي في قاعة من قاعات القصر الجمهوري، لذا، اثار موقع المؤتمر الذي سيقام بعد ساعتين حوله تساؤلات عديدة عما سيكون بشأنه، الى جانب الترقب الذي شعر به الاعلاميون والمشاهدون تجاهه.

في غرفته ذات الجدران الخشبية، كان الرجل ذو البدلة الانيقة قد اغلق توا سماعة هاتفه متكأً على كرسيه خلف مكتبه، تناول الريموت كونترول و حول جهاز المستلم الى القناة الرسمية، نظر الى ساعته بانتظار حلول السادسة مساءا.

الفصل 31

لم تكــن بغــداد، تلك المدينة الكبيرة التــي تقع ثالثة بين العواصــم العربية الاكبر بعدد سكانها، قد هدأت بعد سلسلة الاحداث الاخيرة التي عصفت بالبلاد عقب عزل الرئيس المختــار وافراد من حكومته على خلفية التهم التي وجهت اليهم، فلا زال بعض انصــار المختار يجوبون الشوارع و الساحات الرئيسة مطالبين بالحرية لرئيسهم السابق.

في الوقــت نفســه و في احيان كثــيرة، كانت العديد من الدول التــي اتهمت المختار بقضايا دعم الارهاب العالمي واختلاس الاموال والحصول عليها بطرق غير مشروعة تعتبر نفســها معنية بما ستقرره المحاكمة بخصــوص تلك الاتهامات، خصوصا الولايــات المتحدة الامريكيــة و بعض الدول الاوربية و دول من المشرق الاقصــى، الى جانب العديد من الشركت العالمية و المنظمات الاخرى، فلم تكن قضية القراصنة الصوماليين الا واحدة من القضايا التي ثبتتها تلك الدول ضد المختار، الا ان جميع تلك الاطراف كانت تصــاب بخيبة امل كلما طالت محاكمة الرئيس العراقي دون التوصــل الى ادانته بشكل قاطع رغم تقديم تلك الدول و الجهات العديد من الادلة الى المحكمة العراقية التي تثبت التورط الفعلي للمختار في اعماله غير المشروعة، كما لوحت بعض الدول و الشركات برفع دعوى الى المحكمة الدولية ايضــا في حال لم يكن القضاء العراقي حاسما و شفافا بما يكفي اثناء المحاكمة.

اما في العراق، فقد انشــغل العراقيون كثيرا بالتســجيلات المشذبة التي يعرضها التلفزيــون الحكومي لجلســات محاكمــة الرئيس المعــزول، و لم تخلُ الشــوارع في مناسبات عديدة من مصادمات بين انصار المختار و مناوئيه تفضها قوات مكافحة الشغب بالقوة، ما دفع السلطات احيانا الى فرض حظر التجوال ليلا في المدن التي تشهد مثل تلك الاحداث.

في ذلك المساء، دفعت القنوات التلفزيونية ووكالات الانباء المحلية و العالمية بافضل ما لديها من الاعلاميين من مكاتبها في بغداد الى القصر الجمهوري حيث المؤتمر المرتقب بعد دقائق و الذي وصفته السلطات بالهام.

في الوقت ذاته، وعلى شاشات القنوات الفضائية، شخصت عيون ملايين المشاهدين في العراق والعالم نحو التلفزيون واستعدت الاستوديوهات التحليلية للقنوات الفضائية واعدت الاتصالات عبر الاقمار الصناعية بانتظار ذلك الحدث، و بين تلك العيون المترقبة لما سيطرح، كانت عيون المحامي مهدي العلي، و الطالبة مها، و البروفيسور جرجيس، و بالطبع، صاحب البدلة الانيقة.

الفصل 32

دقيقتين قبل السادسة مساءا.

فيما كان العالم يشاهد، ظهر على شاشة القناة الرسمية مربعين متجاورين احتل مذيع الاخبار الشاب الايسر منهما، فيما ظهرت على المربع الايمن منصة خطاب خشبية وعليها وضعت العشرات من لاقطات الصوت الملونة والتي تحمل شعارات محطات تلفزة محلية و عالمية بانتظار الشخص المتحدث، و الى الخلف من المنصة على اليسار، وضع علم عراقي بالوانه الاربعة المعروفة، فيما كانت في خلفية ذلك المشهد لوحة زيتية كبيرة رسمت بعناية.

"مشاهدينا الكرام، ننتقل و اياكم الى القصر الجمهوري لنقل وقائع المؤتمر الصحفي الذي يعقده المكتب الاعلامي لوزارة الداخلية العراقية.. فالى هناك".
قال المذيع تلك العبارة على عجل، و اختفى بمربعه الايسر لتحتل صورة المنصة الخشبية الشاشة كاملة.

كان مهدي يجلس كاتفا ذراعيه و هو ينظر الى الشاشة، شدت انتباهه اللوحة الزيتية الى الخلف من المنصة الخشبية التي تحمل شعار الجمهورية، كانت اللوحة بقياساتها الكبيرة و ابعادها المقوسة من الاعلى و المربعة من الاسفل قد شوهدت من قبله فيما مضى، حيث لم يكن منظر الرسمة غريبا عليه، فقد كان مهدي قد شاهد من قبل ما يعرف بـ(لوحة الصاروخ) في القصر الجمهوري اثناء حضوره الحفل الخاص بالذكرى السنوية الثانية لتسلم الرئيس المختار حكم البلاد.

تحمل لوحة الصاروخ رسما زيتيا لسبع صواريخ منطلقة الى السماء و قد اثارت حولها دخانا كثيفا، في وسط اللوحة، يظهر كبيرا صاروخ منطلق و قد وضع عليه علم عراقي كذلك الذي كان معتمدا قبل عام 2003، فيما انطلقت على جانبيه ست صواريخ اخرى تبدو ابعد من الصاروخ الوسطي الكبير، و في السماء، تظهر اشعة الشمس و هي تتسلل من خلف جدار من الغيم الذي تنطلق نحوه الصواريخ.

مع حلول تمام السادسة مساءا بتوقيت بغداد، الثالثة بتوقيت غرينيتش، ظهر رجل بزي امني و رتبة عميد على الشاشة ليعتلي منصة المؤتمر، وضع ملفا كان في يده على المنصة و عدل نظارته الطبية ملقيا التحية على نحو خمسة و ثلاثين اعلاميا من وكالات انباء مختلفة جلسوا امامه، تابع العالم اللحظات الاولى من مؤتمر وزارة الداخلية العراقية الهام، فيما استقبلت شفتا مهدي سيكارة بانفاسها الاولى.

تنحنح العميد و هو يستعد للتحدث من على المنصة امام لوحة الصاروخ، ضم شفتيه وعدل نظارته مرة اخرى و هم بالحديث، ساد صمتٌ لاذع على القاعة و شخصت عيون الصحفيين و كاميراتهم بانتظار كلماته.

"اود ان اعلن الى ابناء شعبنا، والى المهتمين بالشأن العراقي في العالم، ان الرئيس المعزول محمد المختار، قد توفي الليلة الماضية في زنزانته وسط ظروف لا تزال غامضة...".

تعالى صوت ضوضاء عريض بمختلف اللغات في القاعة، رفع العميد صوته و اكمل: "و اننا كوزارة داخلية في البلاد و بالتعاون مع وزارة العدل فتحنا تحقيقا دقيقا للتوصل الى الكيفية التي توفي فيها المتهم، و لكن الدلائل الاولية تشير الى وفاة طبيعية حتى هذه اللحظة..".

كان مهدي لا يزال يتابع و قد شعر بظلم عاصف تعرض له الرئيس المختار في سجنه. فحقيقة ما جرى كما شاهدها على الشريط الرصاصة تتنافي تماما مع كلام المتحدث باسم وزارة الداخلية.

كان كمن يريد الصراخ وهو في جزيرة نائية. حيث ليست هناك اذان ستسمع صراخه مهما علا. شعر و كان روحه اصبحت كجدران رطبة مالحة. اثقلها الحزن والشعور بالظلم. كان واثقا بانه مهما فعل الان لكشف ماجرى. لن يستمع العالم للحقيقة التي يعلو على صوتها صوت الاعلام الحكومي الواثق و المزيف للحقائق.

لقد ذهبت تضحية الرئيس المختار هباءا.

اكمل المتحدث قائلا: "لذا. ارجو من السادة المواطنين ضبط النفس لما جرى و عدم التطرف بردة الفعل حتى ظهور النتائج النهائية للتحقيق في ملابسات ما حصل..".

انهى العميد مالديه. و ارتفعت الايادي صاخبة لطرح الاسئلة. و بدا يجيب على بعضها. ابتسم مهدي نصف ابتسامة وهو ينتبه الى لغة الجسد التي ابداها العميد لا اراديا و التي عكست كمرآة حجم الزيف الذي كان يتحدث به. كان يتحاشى النظر الى عيون المراسلين بشكل مباشر. يرتشف الماء من القنينة البلاستيكية بجواره احيانا. او يعدل اوراق الملف امامه احيانا اخرى. و ينظر الى الزاوية اليمنى العليا ليتظاهر بالتذكر. فيما تعني تلك الزاوية اللجوء الى الخيال لايجاد الاجابة. على عكس الزاوية اليسرى التي تدل على استخدام الذاكرة. والى جانب كل ذلك. التف العميد بالاجابة على الكثير من الاسئلة دون اعطاء جواب شاف.

بعد دقائق. انتهى المؤتمر الصحفي بمغادرة العميد المنصة. وتراجعت صورة الكاميرا عنها الى الوراء عارضة رؤوس الصحفيين من الخلف. بقيت كذلك لبضع ثوان و هي تضج ببدء الصحفيين مغادرة القاعة. فيما لا تزال لوحة الصاروخ واضحة وسط الشاشة. قبل ان يختفى ذلك المنظر بظهور المذيع الشاب مجددا و هو يسترجع ما قاله المتحدث باسم الداخلية في المؤتمر على المشاهدين.

اطفــأ الرجل ذو البدلة الانيقة تلفــازه بجهاز الريموت كونترول و هو لا يزال يفكر بما يمكن ان يعثر عليه مهدي بعد هذا المؤتمر.

الفصل 33

في منزلــه، كان مهــدي يتابع ردود افعال الــوكالات الاخبارية من علــى التلفزيون و يتنقــل من محطة الى اخرى، لاحــظ ان معظم الوكالات تســتغرب عقد المؤتمر في القصر الجمهوري بدلا من وزارة الداخلية نفسها، فيما راحت بعض المحطات تعيد مشاهد من المؤتمر الصحفي للتعليق على ما جاء فيه.

فجأة، برق في راس مهدي وهج من قبس ما تابعه في ذلك المؤتمر، شعر بان السماء قد اوحت له بفكرة قد تكون مصــيبة الى حد كبير، نظر الى ســاعته التي كانت تشير الى السادسة و النصف مساءا، حيث مال ميزان الشمس الى المغيب.
نهض مسرعا و تناول جهاز حاســبه المحمول، فتح صــفحته على موقع التواصل الاجتماعــي (فيســبوك) وفتح خانة الرســائل مع مها، لم يرد اســتخدام الهاتف المحمول لاحتمال التنصــت على مكالمته، ارســل رسالته الاولى املا في ان تتلقاها هي باسرع ما يمكن.

-"مرحبا مها.."
مرت بضــع ثوان دون تسليم النص، كانت صــورة الشاشة باطارها الازرق تنعكس علــى نظارته الطبيــة و هو يراقب مربع الدردشــة، فجأة، ظهر نص رمادي قصــير اسفل نص رسالته: تم العرض.
احس بقرب مها من الرد عليه، فهو بحاجة اليها في التفكير و مشاطرتها ما يشعر به بعد كل ما مر به خلال يوم حافل، ثوانٍ، و ظهرت نقاط ثلاث رمادية (...).

-"اهلا استاذ".

ابتسم مهدي و هو يداعب حروف لوحة المفاتيح رادا عليها.

-"كيف هي والدتك الان ؟". كتب لها.

-"بخير. اعطيتها بعض المسكنات و انهيت اعداد حقيبتها للسفر غدا الى تركيا لغرض العلاج.

كيف انت بعد المؤتمر ؟".

-"الحمد للّه على سلامتها. المؤتمر. ممم. هذا ما اتصلت بك الان من اجله..".

-"لم ؟ هل اتضح شئ استاذ ؟".

-"لا اعرف ما اذا كان ما انتبهت عليه مقصودا ام هو محض صدفة..".

-"وماهو ؟".

-"الموقع الذي اجري فيه المؤتمر..".

-"القصر الجمهوري ؟".

-"نعم".

-"و ما الذي يمكن ان يكون غريب في ذلك استاذ ؟".

-"مها. اللوحة خلف المنصة".

-"؟؟؟".

-"نعم. هل لاحظتها ؟".

-"لم انتبه جيدا. لكنني اذكر ان الخلفية كانت لوحة ملونة كبيرة".

-"مها. القصد ليس في القصر الجمهوري كموقع. بل باختيار هذه القاعة تحديدا".

-"استاذ. لم افهم شيئا !!".

قالت مها ذلك و هي تنتظر رد مهدي بشكل اوفى. تاخر في كتابة رسالته التالية.

-"لاحظي. اللوحة رسمت في عهد صدام حسين وهي تجسد الصواريخ العراقية التي اطلقتها القوات العراقية على اسرائيل عام 1991 اثناء حرب الخليج".

-"اهاا ؟".

-"لقد اطلقت القوات العراقية 43 صـــاروخا حينها على رشـــقات طيلة اثناء ايام الحرب الـ43".

-"نعم ؟".

-"تصدت صـــواريخ باتيريوت الاسرائيلية - امريكية الصنع - لاربع منها و دمرتها قبل بلوغ اهدافها. هذا ما قاله الاعلام العالمي حينها".

تلقت مها الرسالة الاخيرة. و شعرت بغرابة كلام استاذها. تاخرت قليلا في الرد. ثم نقرت على رقمين على لوحة المفاتيح و علامتي تعجب:

-"39!!".

ابتسم مهدي و اجاب:

-"نعم". ثم اكمل: "عدد الصواريخ التي اصابت اهدافها كان 39 صاروخا !".

ارسلت مها ملصقا مستغربا. تلقاه مهدي بابتسامة.

-"اذا. تلك اشارة جديدة استاذ !".

-"تماما مها. فكري الليلة بما يعنيه ذلك. ساحاول انا ايضا ايجاد ربط بين هذه الاشارات".

-"طيب. لقد صدمتني استاذ".

-"انا مصدوم كذلك. حاولي ايجاد الحل".

-"طيب. اعدك".

-"تصبحين على خير".

-"انت ايضا".

تم عرض المرسل الاخير من مهدي لدى مها، اغلق شاشة حاسبه المحمول و شبك اصابعه خلف راسه متكأً، و هو يغوص في عمق افكاره المتعشقة مع بعضها.
تقع لوحة الصاروخ في قاعة مربعة الابعاد طول ضلعها نحو 30 مترا و ارتفاعها نحو 7 امتار، حيث تحتل اللوحة الزيتية بابعادها المربعة من الاسفل و المقوسة من الاعلى وسط احد جدران القاعة، و يبلغ ارتفاع تلك اللوحة نحو 4 امتار و نصف و عرض قاعدتها نحو متران و نصف، و هي تقابل في الجدار المواجه لها لوحة اخرى بنفس التصميم الهندسي و الابعاد لقبة الصخرة التي تقع في مدينة القدس في فلسطين.
تمتد ارضية المرمر في القاعة بتصاميم هندسية تتوسطها زهرة كبيرة ثمانية التويجات و داخلها زخارف اكثر تعقيدا، و تحتوي القاعة على خمسة بوابات خشبية تتوسطها زخارف ذهبية موزعة بواقع بوابتين على جانبي كل لوحة فيها، وبوابة منفرده في الضلع الثالث من القاعة، فيما تتدلى ثمانية مشاعل انارة من سقف القاعة الذي تتوسطه طية ثمانية الشكل اكثر ارتفاعا من السقف الاولي تحمل زخارف دقيقة باللون البني الممزوج باللون الذهبي، و بدورها، تعلو من وسطها طية اخرى بحزام ازرق مكتوب بداخلها باللون الابيض ايات قرانية بالخط العربي، و تشير تلك الايات جميعها الى عقاب بني اسرائيل و تاريخهم كما ذكر في القران، و فوق كل تلك المدرجات من السقوف الرائعة، تعلو قبة رسمت بداخلها لوحة بانورامية يظهر فيها مسجد قبة الصخرة مجددا محاطاً بخيول ثائرة على خلفية سماوية.

بعد عام 2003، كانت قاعة الصاروخ مسرحا لعقد مؤتمرات هامة كمؤتمر مكافحة الارهاب عام 2014، لكنها لم تكن ذات مرة مقرا لعقد مؤتمر صحفي لوزارة الداخلية العراقية.

في ذلــك المســاء، و بعد انتهاء المؤتمر الصــحفي الخاص بمقتــل الرئيس المختار، كان البروفيسور جرجيس قد استقل توا سيارة خاصة بعثتها اليه المخابرات مع سائق مكلف بنقله من المنطقة الخضراء الى دائرة الطب العدلي في الباب المعظم، تحركت السيارة باتجاه بوابة المنطقة الرئاسية خارجة الى هدفها.

في الوقت نفســه، كان النقيب فاضــل قد انهى تســليم جثة الضــبع الى الطب العدلي و توجه عائدا الى الشعبة الخامسة في الكاظمية، حيث سينال قسطا من الراحة بعد يوم متعب.
اما في الغرفة ذات الجدران الخشبية، فقد غادر الرجل ذو البدلة الانيقة تلك الغرفة، و اتجه الى مقر اقامته القريب.

الفصل 34

الثامنة مساءا بتوقيت بغداد.

مرتديا ملابسه الخاصة بغرفة تشريح الجثث، كان البروفسور سالم جرجيس قد دخل صالة التشريح وقد رافقه اثنان من المشرحين الذين ارسلتهم المخابرات لمساعدته في تشريح جثة المختار والحفاظ على سرية المهمة.
كانت الجثة قد ادخلت الى صالة التشريح مغطاة تماما وقد ارفقت بالرقم 3297 كرمز لها حيث لم يوضع عليها مايشير الى الهوية الحقيقية لصاحبها.
رقم فقط.
بدخوله والمشرحين الى الصالة، أُغلق باب الصالة خلف البروفسور جرجيس ومرافقَيه الذين سيساعدانه في استئصال الاعضاء التي يقرر هو استئصالها واخضاعها للفحوصات المختبرية. كان البروفسور والمشرحين وحدهم امام جثة مغطاة بالكامل عدا قدميها التي تحمل اليمنى منهما الرقم 3297 مربوط باصبع ابهامها.

لم تكن الحكومة العراقية على اي علم بسبب وفاة المختار، كما لم تكن متورطة بذلك، لذا فقد كانت تلك الحكومة امام امتحان صعب امام الراي العام لاثبات السبب الحقيقي لوفاة الرئيس، فيما كان اللواء ماهر عبد الفتاح الرجل الوحيد الذي يعلم بادق تفاصيل ماحدث له، اراد اجراء عملية التشريح كاجراء سليم امام حكومة بلاده الى جانب اقناع الدول والمنظمات المعنية بالقضية بان العراق قد اجرى عملية تشريح شفافة ومقنعة مستعينا بالبروفيسور جرجيس ذو السمعه الدولية العريضة، رغم ان عبد الفتاح كان قد اعد مسبقا التقرير النهائي لسبب الوفاة.

في تلك الليلة، كانت دائرة الطب العدلي تعيش ليلة بوليسية بامتياز، فقد احيط مبنى الدائرة بعدد من نقاط التفتيش مع تواجد امني مكثف. اما في الداخل، فقد زرعت الممرات والمداخل والمخارج برجال الامن والمخابرات بازيائهم المختلفة في ذلك المبنى المراقب اصلا بكاميرات مراقبة دقيقة.

بخطوات بطيئة، كان البروفسور جرجيس قد وصل ليقف امام جثة قضيته الكبرى، نظر الى المشرحين على يمينه ثم مد يده نحو الغطاء الذي يكسو الجثة، امسكه من طرفه وابعده عن وجهها.
الرئيس محمد المختار.

كانت عينا الجثة لاتزالان مفتوحتين وهما تنظران الى الامام، فيما كان وهج موشور الانارة المواجه للجثة من الاعلى يشع بنوره الساطع على تفاصيل وجهها. نظر جرجيس بتمعن الى عيني الجثة، كانت حدقتاها متسعتين بشكل واضح، من منظرهما، بدا لغز وفاة الرئيس يجمع اول اجزاءه في راس البروفيسور، فجرجيس صاحب الخبرة العريقة في عمله بامكانه التعرف على السبب الاولي للوفاة من المنظر العام للجثث التي يشرحها. ازاح الغطاء عن صدر الجثة بسحبة من يده، و بدا يجول بنظره على مساماتها.

مد البروفيسور يده نحو الجثة وامسك ذراعها، بدأ يحاول تحريكها بحذر، احس بتخشبها، حركها بشكل اقوى فشعر بمقاومتها لتحريكه اياها، كانت متخشبة جدا.

كانت الجثة قد اصيبت بحالة تعرف"بحالة الصمل". وهي تخشب الجثة بفعل تناولها الغازات السامة. حيث يبدي هكذا نوع من الجثث مقاومة للحركة وفيما لو تم تحريك اطرافها بشكل اكثر عنفا فمن الممكن ان تنكسر الاطراف وتتفتت المفاصل.

بينما هو يعيد الذراع الى مكانها. كان لغز قتل المختار لايزال يواصل جمع اجزاءه براس البروفسور. وضع جرجيس في راسه السبب الاول للوفاة كسر بينه و بين نفسه. واكمل عملية الكشف للتاكد من ذلك السبب بشكل ادق.
سحب طرف قفازه الطبي حول معصمه واشار للمشرحين بالاستعداد لعملية فتح الجثة.
-"اريد عينة من الدم. ثم ان يتم استئصال المعدة. الكبد. الكلية. القلب. الدماغ والرئة".

لم يكن باستطاعة احد من العاملين في دائرة الطب العدلي والمحللين المختبريين التعرف على صاحب الجثة التي سترسل اليهم احشائها من المشرحة. فسيتعاملون مع الرقم 3297 بمجهولية تامة. سيجرون التحاليل والفحوصات ويبعثون النتائج الى البروفسور دون علمهم بانهم يقومون بفحص احشاء رئيس جمهوريتهم السابق. الى جانب ان دائرة الطب العدلي اطلقت عدة ارقام مختلفة على احشاء الجثث الخاضعة للتشريح في الدائرة تلك الليلة والتي سيتم فحص عيناتها للتمويه على الرقم الذي تحمله جثة الرئيس.

ما ان اتم المشرّحان استعداداتهما، حتى بدآ بفتح صدر الجثة، تسربت قطرات الدم التي خلفها مسير المشرط على صدرها، وضع البروفسور جرجيس اصابعه على تلك القطرات من الدم، مزجها بينها ثم قربها من انفه، احس بقرب اكتمال تشكيله اللغز في راسه، فقد نفذت رائحة اشبه ماتكون برائحة اللوز المر الى انفه بشكل واضح، هز راسه معلنا لنفسه معرفة سبب الوفاة بشكل شبه نهائي، لكنه لم ينطق بكلمة الى المشرحين الذي انهمك احدهما بفتح الجثة.

في تلك الاثناء وفي مقر اقامته القريب، كان الرجل ذو البدلة الانيقة يقلب صفحات كتاب يعتز به جدا لمعرفته بان الرئيس المختار كان يعتبره كتابه المفضل، فتحه على احدى صفحاته التي طوى زاويتها مسبقا، نظر الى النص وسطها، كان يتكون من اربعة اسطر قصيرة رصفت فوق بعضها كنص شعري وسط الصفحة، كان ذلك النص محاط بدائرة من الحبر الاحمر كتاشيره، قراه صاحب البدلة الانيقة للمرة المئة منذ ان احاطه بتلك الدائرة الحمراء، انهى قراءته ووضع قلما في صفحته وطوى الكتاب ووضعه على منضدة كانت قبالته، ثم تناول هاتفه المحمول وبدا يجري اتصالا مع احدهم.

بعد ساعة من بدئها، كانت عملية تشريح جثة الرئيس محمد المختار قد اكتمل منها فصل استخراج الاحشاء التي امر البروفسور سالم جرجيس باستخراجها الى جانب بعض العينات الاخرى لغرض البدء بارسالها الى مختبرات التحليل والفحص المختبري مرفقة بالرقم 3297، سيعمل موظفو التحليلات المتخصصون لساعات متواصلة لغرض التوصل الى اسباب الوفاة، حيث ستعاد الى البروفسور جرجيس تلك النتائج لوضع تقرير نهائي عن الاسباب التي ادت الى وفاة صاحب الجثة 3297.

فيما سيخرج البروفيسور بتقرير عن وفاة الرئيس المختار لايتطابق تماما مع نتائج فحص احشاء الجثة الحاملة لذلك الرقم، بل مع ارادة اللواء ماهر عبد الفتاح.

في تلك الاثناء كان اللواء ماهر على اتصال دائم بمدير عام دائرة الطب العدلي ليعلمه بوضع البروفسور جرجيس ومدى المحافظة على سرية مايقوم به، ابلغه المدير بان مرحلة التشريح واستخراج الاحشاء والعينات المطلوبة قد انتهت وسيتم ارسال تلك المخرجات الى مختبرات التحليل بشكل مموه، فيما سيقضي البروفسور جرجيس ليلته في مبنى الدائرة تحت رقابة مشددة.

الفصل 35

السابعة صباحا بتوقيت بغداد.

كان ذلك اليوم هو احد ايام العطلة الربيعية في التقويم الدراسي في العراق، ما سمح لمهدي و طالبته بالبقاء كباقي الاساتذة و الطلبة في عموم البلاد دون ارتباط بدوام رسمي، الى جانب ذلك، فقد كانت بغداد تشهد خفةً نسبية في حركة المرور لعدم وجود حركة للطلبة المقدرة اعدادهم بمئات الالاف في العاصمة.

فتح مهدي عينيه على فراشه هادئا، لم يحرك ساكنا، كان مستلقيا على ظهره و هو ينظر الى السقف، لم يشا النهوض من فراشه، احس بمرارة فمه بعد عشرات السكائر التي دخنها يوم امس، غارقا في صمتٍ لزج، بدا يسترجع الكابوس الذي راى فيه الرئيس يفتح عينيه من موته..
سينهار كل شئ..

رغم ذلك، كان يشعر بصفاء ذهنه العميق و قابليته على التفكير اكثر من اي وقتٍ مضى، بدا يسترجع افكاره المتناثرة حول محور اسمه الرقم 39، حلق فوق افكاره المتشتتة كغيوم متناثرة وسط سماء عراقية زرقاء ربيعية، كان يستمع الى نقرات العصافير على زجاج نافذته المظلل الذي يعكس الاشياء في الخارج كالمرايا، اعتاد على الاستيقاظ على تلك النقرات صباحا، مستغلا سذاجة تلك العصافير التي تنقر الزجاج عندما ترى انعكاس صورتها فيه، مر امامه شريط الفيديو الذي وصله على شكل رصاصة في ظرف، تذكر كل شئ..
النقيب فاضل، البخاخ، عاشق المختار، الشعبة الخامسة...

صفى ذهنه مجددا و تلاشت تلك الصور من امامه كغبار على خشب عصفت به الريح فجاة. التفت الى يساره زافرا. لفت نظره ضوء متقطع ازرق يصدر من نقاله. نهض من سريره فورا و امسك جهازه و تناول نظارته الطبية. وضعها و فتح قفل الجهاز.

رسالة جديدة.

كان مهدي يتمنى لو انها ارسلت من مها. و انها ستبشره بعثورها على ربط لحلقات اللغز ليتصل بها و يستمع لبشراها تلك. كان حقا يتمنى ذلك.

مصارعا خوفه من جهة و فضوله من اخرى. فتح تطبيق الرسائل.

كان نقاله قد تسلم رسالة من مرسل غريب.

بلا رقم.

لمس باصبعه الرسالة. فيما راح قلبه يخفق باطراد مجددا. فتحها..

كانت من اربعة اسطر قصيرة مرصوفة فوق بعضها كنص شعري و متوسطة الشاشة. تقافزت حدقتا مهدي على الكلمات.. فالسطور..

في الليل. سيخنق اخر واحدٍ في فراشه..

لانه انهمك كثيرا بالوريث المنتخب الاشقر..

تستعبد الامبراطورية. و يقوم مقامها ثلاثة رجال..

يعدم. دون ان تقرأ له وصية او رسالة..

تسمر مهدي في مكانه. و هو يشعر بان افكاره انفجرت بشكل مخروطي انطلاقا من هذه الرسالة كانفجار الكون الكبير.

في الليل.. سيخنق اخر واحد في فراشه..

بشـــكل خاطف، مرت امامه صـــورة المختار ميتا على سريـــره، الرقم 39 على جدار الزنزانة.. تناهت الى ســـمعه اصوات اجهزة الارســـال التي كان يحملها افراد الامن و الادلة الجنائية عند باب الزنزانة في تلك الليلة، و اســـترجع صـــوت طقطقة حذاءه على ارض الرواق الخرسانية الصماء في الشعبة الخامسة...

سيخنق.. اخر واحد.. سينهار كل شئ.. مهدي!

يعدم.. دون ان تقرأ له وصية..

او رسالة!

تشـــوش العالم بنظره، دُمر صـــفاء ذهنه الذي شـــعر به قبل قليل مســـتحيلا الى شـــظايا متطايرة، كانت هذه الرسالة قد فجرت افكارة كما تفجر قذيفة طائشة جدارا من فلين.

الوريث المنتخب الاشقر..

ثلاثة رجال..

اغمض عينيه، و انهار جالسا على سريره.

.....

في تلك الاثناء، كان الرجل ذو البدلة الانيقة قد دخل غرفتـــــه ذات الجدران الخشبية للتو مبتدءا يومه الجديد.

بماذا يمكن ان يفكر المحامي مهدي العلي الان ؟!

.....

ذلك الصـــباح، كانت احشاء الجثة 3297 قد توزعت على مختبرات التحليل المخبري في دائرة الطب العدلي، بينما كان البروفيســـور ســـالم جرجيس مرغما على اكمال المهمة دون مغادرة مبنى الدائرة.

الفصل 36

في الليل، سيخنق اخر واحد في فراشه...

اعاد مهدي قراءة ذلك النص نحو عشر مرات، نص وصل من مجهول يتقارب بكلماته مع ما حدث للرئيس المختار.
محاولا فك شفرته، قرا مهدي الكلمات الى النهاية..

الوريث المنتخب الاشقر..
تستعبد الامبراطورية..
ثلاثة رجال..

كانت دهاليز افكاره جميعها مظلمة وتنتهي بجدار اصم من التساؤلات.

ذلك الصباح، كانت مها على موعد مع طائرة الخطوط الجوية العراقية، فوالدتها التي حصلت على بعثة طبية تتحمل تكلفتها وزارة الصحة اصبحت جاهزة للسفر الى تركيا لاجراء عملية تبديل لمفصل كتفها المصاب بالتنخر، فيما ستكون بنت خالتها مع والدتها في رحلتها العلاجية تلك، وستبقى هي في بغداد لانشغالها ببحثها الخاص بتخرجها.
بعد ساعة ونصف ستكون والدتها قد استقلت طائرتها متجهة الى مطار اتاتورك الدولي فيما عادت هي نحو منزلها بسيارتها الصغيرة.

اضـفت غرابة النص الذي اسـتلمه مهدي غموضا اكبر في راسه. فلغته الكتابية كانت غريبة وغامضة كغموض قلاع القرون الوسطى. كما لم تبدُ كشعر مقفى او نص مسموع سابقا.

يعدم. دون ان تقرا له وصية او رسالة..

وكمـا كان في النص ذاك. فلم يسـتلم مهـدي من المخابـرات وكمحامي للرئيس المتوفي اية رسائل او موجودات من تركة المختار بعد وفاته. ولم يبلغ باي شي عنه. فاض فضـوله عما يمكن ان يكون المختار قد تركه لمحاميه وامتنعت المخابرات عن تسليمه اياه. بدا يفكر في الظهور اعلاميا كمحام للرئيس ليدلي بدلوه امام وسائل الاعـلام. لكنـه كان يعلم بان المخابرات تطبق عليه مـن كل الجهات وان اية حركة غير محسـوبة قد تسـبب له كارثة. حتى انه لم يرد على اتصـالات رفاقه و زملائه منذ علمه بوفاة الرئيس. ففضـول الاصدقاء والزملاء للتحدث الى مهدي عن وفاة المختار دفعهم الى الاستفسـار منه شخصـيا عما حدث له. و لم يحصـلوا على اجابة على اتصالاتهم.

في الوقت نفسـه. شـعر مهدي بنداء ضـميره الذي يسـمعه كلمـا تذكر حلمه بالرئيس المختار وهو يصرخ:

سينهار كل شئ...

وكانه يطلب منه التحرك لانقاذ شئ ما سينهار ولايمكن لغيره ان يمنع انهياره. رغم انه لايملك ادنى فكرة عن ماهية ذلك الشـئ. فضـلا عن عدم فهمه لعبارة المختار الغامضة في ذلك الطيف. فقد اضاف نص رسالة هذا الصباح غموضا اكبر على كل ماجرى له من احداث تاركا اياه يخوض وسط زوبعة من الافكار المتلاطمة.

فكـــر بالاتصـــال بزميل لـــه في الجامعة ليشركـــه في دوامة الافكار التـــي وقع فيها واوقع بها مها ايضـــا. لكن خشيته من ان تسوء الامور اكثر منعه من الاتصال باي شـــخص حتى من المقربين. لم يكن له ســـوى ان يعاود الاتصال بمها. هي الشخص الذي ســـيحافظ على اسراره عميقا. تناول هاتفه المحمول وبدا يجري اتصاله بها. رن هاتفها وهي في الطريق نحو منزلها..

-"الو"..

-"صباح الخير مها. ارجو ان تكوني بخير"..

-"صباح النور اســـتاذ. نعم لقد اوصلت والدتي الى المطار وهي بانتظار الرحلة الى تركيا الان"..

-"اها طيب".. لم يرد فتح الموضـــوع على الهاتـــف. واكمل.."هل بامكاننا ان نلتقي ؟"..

-"اها طبعا استاذ. في اي مكان تحب ؟"..

-"حســـنٌ. ســـنلتقي في شارع فلســـطين عند ســـاحة بيروت وعندها ســـنقرر اين سنجلس"..

-"موافقة استاذ. ساكون هناك بعد 15 دقيقة"..

-"حسنا شكرا. الى اللقاء"..

اغلق مهدي هاتفه وبدا يحضر نفســـه للقاء مها لمناقشـــتها بموضـــوع الرســـالة الاخيرة.

في الغرفة ذات الجدران الخشبية، كان الرجل ذو البدلة الانيقة يقلب صفحات الانترنت ليتابع ردود افعال الوكالات على المؤتمر الصحفي الخاص بوزارة الداخلية الذي بثه التلفزيون العراقي مساء الامس، فقد تصدرت قضية مقتل الرئيس المختار الصفحات الاولى من العديد من الصحف المحلية والدولية، فيما كانت مواقع الانترنت مشغولة هي الاخرى بمناقشة القضية وتناقلها.

شعر بالضجر وهو يتابع الاخبار الالكترونية..

جميعها متشابهة..

اغلق شاشة حاسبه المحمول واخذ رشفة من فنجان قهوته.

.....

في ساحة بيروت، كان مهدي العلي واقفا على الرصيف المقابل للجسر العابر فوق الساحة، تماما على الموعد، بعد دقائق، رصفت مها سيارتها امامه وطلبت منه الصعود، صعد وقد شعر بدفء الجو داخل السيارة، و دخل الى اعماق رئتيه العطر الجذاب لمها من ماركة"نينا ريتشي"..

-"صباح الخير"..

-"صباح النور استاذ، اين سنجلس ؟"..

-"قودي فحسب".

قريبا من الساحة ذاتها، طلب مهدي منها ان توقف سيارتها في احد مواقف السيارات، ترجلا متجهين الى مقهى قريب فتح حديثا، دخلا اليه وجلسا على طاولة معزولة، كان تصميم المقهى اشبه بالمقاهي البغدادية القديمة، فمقاعد الخشب واغاني الخمسينيات و الصور الابيض و الاسود التي تغطي الجدران هي ايقونة ذلك المكان الذي بدا شبه خال من الزبائن لكون الوقت مبكر لاستقبالهم.

جلسا متقابلين عند تلك الطاولة..

-"مها هل فكرتِ بالرمز ؟".

-"نعم استاذ طويلا. لسوء الحظ لم اجد ما يربط كل تلك الرموز !".

"ممم. طيب.. لقد طلبت منك ان نلتقي لاني تلقيت رسالة غريبة هذا الصباح من مستلم اسمه بلا رقم !".

نظرت له مها باستغراب و فضول في آن.

اخرج نقاله من جيبه و فتح الرسالة التي تسلمها مؤخرا. و اعطى الجهاز لها.

بدات عيناها تتقافزان على الكلمات.. فالسطور..

في الليل. سيخنق اخر واحدٍ في فراشه..
لانه انهمك كثيرا بالوريث المنتخب الاشقر..
تستعبد الامبراطورية. و يقوم مقامها ثلاثة رجال..
يعدم. دون ان تقرأ له وصية او رسالة..

قطبت حاجبيها و هي تقرا. قراته مرتين..

-"استاذ. يبدو هذا مالوفا !".

-"ماذا تقصدين ؟"..

-"لا ادري. لكنني سبق و ان قرات شيئا مشابها. اعني شيئا بهذه الطريقة في الكتابة".

-"مثل ماذا ؟".

-"لحظة من فضلك..".

اخرجت نقالها الذكي. فتحت الاتصال بخدمة الانترنت في المقهى وادخلت الكلمات الاولى من نص الرسالة في مستطيل محرك البحث.

بحث عن:

في الليل سيخنق اخر واحد في فراشه.

ظهرت دائرة البحث طالبة الانتظار، ثم نتائج البحث..
-"ماذا هناك ؟"، قال مهدي.
-"كما توقعت !"، ادارت مها شاشة النقال وقدمته امام استاذها..

نتائج البحث: كتاب القرون... نوستراداموس... يورك الجديدة ... نبؤات نوستراداموس... صخرتان عظيمتان.. دخان في مركز العالم..

شعر مهدي بالذهول لما يقرا، و بدا يرفع شريط الصفحة ويقرا المزيد.
قالت مها: "استاذ، عندما قرات النص ذكرني اسلوبه بشئ قراته قبل فترة، وبالفعل، فقد قرات منذ زمن ليس ببعيد بعضا من نبوءات نوستراداموس على الانترنت و التي تذكرتها حالما قرات هذه الرسالة".
ركز مهدي نظره في المحمول، اختار الخيار الاول من مخرجات محرك البحث حيث توجد كلمات من النص الذي بحثت عنه مها باللون الرمادي، فتح صفحة الويب، كانت صفحة لموقع عربي نقل الرباعيات الخاصة بكتاب القرون مع تفسير النبوءات، بدا يبحث في مئات النصوص عن النص الذي اراد البحث عنه.
نهضت مها وجلست الى جانبه تتابع معه بحثه.

كانت الرباعيات مرقمة نفس الترقيم الذي كان عليه كتاب القرون الذي كتبه نوستراموداس متنبئاً باحداث العالم القادمة، وتحت كل رباعية، كان يوجد تفسير للنبوءة التي تحملها او تاكيد عن تحقق تلك النبوءة والحدث الذي يعتقد ان تلك النبوءة تقصدها رغم كتابتها قبل حدوثها بمئات السنين.

مرر مهدي الصفحة الى الاسفل مارا بجميع نصوص نبؤات المئوية الاولى.
فكتاب النبوءات الذي طبع عام 1568 يتكون من اربعمئة نبوءة مقسمة على اربع

مئات حيث تتسلسل المئوية الاولى برباعيات تبدا بالرقم 1 وتنتهي بالرقم 100 ثم المئوية الثانية بنفس التسلسل وهكذا. قيل ان نحو 80% من تلك النبوءات كانت قد تحققت حتى الوقت الحالي فيما بقي نحو 20% منها غامضا.

انهى مهدي صفحة المئوية الاولى من المئويات الاربع دون العثور على النص المطلوب، و بدا باستعراض المئوية الثانية وهو يبحث عن تفسير النبوءة التي وصله نصها صباح اليوم من مرسل مجهول.

النبؤة العاشرة...

تابوت يوضع في مدفنٍ حديدي تحت الارض...
حيث سيحتفظ بابناء الملك السبعة.....

مرر مهدي الى النصوص التالية..

النبوءة الثانية و العشرون..

شيء يوجد دون حواس..
سيتسبب في وقوع نهايته الخاصة به بوسيلة ما....

مرر اكثر باحثا عن نص الرسالة التي وصلته.. فقد تحل اللغز!

النبؤة السابعة و الثلاثون..

قبل الغروب بوقتٍ قصير..
يشتبك الفرقاء في معركة، امة عظيمة في حيرة..
و لما غلبت، لا يجيب الميناء البحري..
الجسر و القبر كلاهما في اماكن غريبة..

ليس هذا مايبحث عنه ايضا، مرر الى النبؤة التالية، ولم تكن ايضا ما يريد، مرر مرة اخرى، و ظهر امامه النص:

في الليل سيخنق اخر واحد في فراشه..
لانه انهمك كثيرا بالوريث المنتخب الاشقر..
تستعبد الامبراطورية، و يقوم مقامها ثلاثة رجال..
يعدم، دون ان تقرأ له وصية او رسالة..

صدم مهدي ومها لرقم تسلسل النبوءة...
الرقم 39 يظهر ثانية..
من كتاب *القرون* هذه المرة.

الفصل 37

في ذلك الصباح، كان البروفسور سالم جرجيس لايزال في دائرة الطب العدلي تحت رقابة مشددة، احس بذلك كاقامة جبرية، لن يستطيع التحرك قبل ظهور نتائج الفحوصات المختبرية، ستاخذ عملية الفحص والتحليل لاحشاء الرئيس المختار نحو 72 ساعة من استئصالها على الاقل، هذا ان عملت المختبرات باقصى مالديها من جهد للخروج بنتيجة التحاليل وتسليمه اياها، لم تتوقف اتصالات اللواء ماهر عبد الفتاح لمدير الدائرة منذ الليلة الماضية، فهو مستمر بمتابعة مجريات عمل الطب العدلي فيما يخص عملية تشريح جثة الرئيس المختار، وطبعا للاطمئنان على مجريات عمل البروفيسور.

كان مهدي يشعر بصدمة شديدة بعد ان اكتشف ان النبوءة التي تسلمها هاتفه المحمول هذا الصباح هي النبوءة رقم 39 من المئوية الثانية لكتاب نوستراداموس. "استاذ، لنقرا تفسير النبوءة قد يقودنا ذلك الى شئ ما"، قالت مها.

وافقها مهدي في رايها، وبدا يقرا تفسير النبوءة مما تحقق من حدث تاريخي ويعتقد ان نوستراداموس كان يقصد ذلك الحدث بنبوءته التاسعة والثلاثين تلك..
النبوءة 39 – التفسير:

"وفاة لويس بوربون كوندييه 1830:
وجد اخر رجل من ال كوندييه وهو لويس، مخنوقا في احدى الليالي من عام 1830، لكن ليس في فراشه، و انما متدليا من سقف غرفة النوم الخاصة به، من المحتمل انه تعرض للقتل بسبب الدعم الذي ابداه في قضية دوق بورودو، الكونت دي شامبور، الذي يصفه نوستراداموس بحق بانه منتخب، لانه كان حفيد شارل العاشر و وريثه

على العرش الفرنسي، اما الثلاثة الذين اغتصبوا السلطة فيمكن تفسيرهم اما بانهم الانظمة الثلاثة التي تلت شارل العاشر، و لويس فليب و الجمهورية، و بعد ذلك ال بونابرت، او يمكن ان يشير البيت بدقة اكبر الى الرجال الثلاثة الذين حاكوا الدسائس ضد اسرة كونديبه و شارل العاشر و دوق انغوليم و دوق بورغونييه. يقول لوبيليتييه ان كونييه كان اشقر الشعر و كان قد كتب وصية لصالح دوق بوردو، و يقال ان هذه الوصية استبدلت بها وصية اسبق منها كتبت لصالح دوق اومال، ابن لويس فيليب الذي اصبح ملكا عام 1830".

انهى مهدي قراءة النص بصوته، بدا كانه لا يجد ربطا بينه و بين الاحداث الجارية، كذلك قالت عيني مها التي كانت منصتة له تماما.

-"لم اتوصل الى شيء له علاقه بما يجري"، قال مهدي.

-"ولا انا استاذ، اعتقد ان اللغز ليس في التفسير، بل في الرقم !".

-"تبا لذلك ! انها لعبة حقيرة !"، قال هو.

-"استاذ، عد الى النبوءة نفسها لعل فيها ما يفسر اختيارها من قبل المرسل".

رد مهدي: "حسنا، لنبدا بالتفكير فيها شطرا شطرا".

قرا مهدي الشطر الاول من النص..

في الليل سيخنق اخر واحد في فراشه..

نظر الى مها التي قالت: "الامر واضح استاذ، فالرئيس قتل خنقا كما شاهدنا في الشريط الرصاصة".

رد مهدي: "تماما".

اكمل القراءة..

لانه انهمك كثيرا بالوريث المنتخب الاشقر..

-"مم، استاذ هل حدثك الرئيس عن وريث ما له في الحكم مثلا ؟".

رد مهدي قائلا: "ابدا مها. النظام الجمهوري في البلاد لايورث الحكم كما تعلمين. ثم ان المختار لم يكن متزوجا حتى وفاته. الامر لايرمز لوراثة الحكم. هناك شئ مقصود اخر لا ادري ماهو".

-"قد يكون شخصا مقربا اعده المختار لوراثة الحكم منه ؟"، قالت مها.

-"لا. لا اعتقد".

-"حسنا. لننتقل الى العبارة التالية ونرى"، قال مهدي.. و اكمل: "المنتخب الاشقر".

ردت مها و هي تفكر بعمق: "ممم. الاشقر !".

-"نعم لست اعرف ان كان ذلك يشير الى شيء ما او ان النص اختير ليرسل لي لان المفتاح يقع في عبارة اخرى منه"، قال مهدي.

-"هل من شيء اخر ممكن ان تشير له كلمة الاشقر ؟".

فكر مهدي وهو يغوص في عمق افكاره بحث في دهاليزها. ثم عاد طافيا الى سطحها مجددا. كل ما وجده في ذهنه مرة اخرى...

فراغ تام.

-"ليست لدي ادنى فكرة"، قال و هو يمسح عينيه من تحت نظارته.

-"طيب. وما العبارة التالية ؟"، قالت مها.

اكمل مهدي: "تستعبد الامبراطورية. ويقوم مقامها ثلاثة رجال".

كانت مها تشعر بالضياع هي الاخرى وهي تستمع لتلك الكلمات. هل ارسلت الرسالة لتشير فقط الى الرقم 39 مجددا ام ان فيها معنى اخر؟. يجب ان تعني شيئا. فالشطر الاول منها يحمل تفاصيل موت الرئيس خنقا وهذا مايؤكد وجود معنى في باقي اشطر النبوءة.

-"استاذ اية امبراطورية من الممكن ان تستعبد ؟. الم تقل لي بان الرئيس كان يسمي العراق (بلاد الشمس) ؟ العراق كان امبراطوريات متعاقبة فيما سبق من الاشورية والبابلية وصولا الى العباسية حيث كانت بغداد عاصمة اكبر الامبراطوريات انذاك. ما رايك ؟".

رد هو: "لا اعلم مها، ثم من سيستعبدها مثلا ؟".

-"هذا هو السؤال !".

استطرد مهدي: "ومن هم الرجال الثلاثة؟ الحكم الجديد في العراق لايسمح للاشخاص كافراد بالحكم في البلاد كما كان سابقا، النظام برلماني منذ عام 2003".

ردت مها و هي تتكئ على كرسيها الخشبي: "توقف عن التفكير هكذا استاذ ! دعنا نشرب شيئا الان".

اغلق مهدي شاشة نقاله و نزع نظارته: "ساشرب فنجان قهوة، ماذا عنكِ ؟".

"كما انت استاذ !".

طلب مهدي النادل وهو يجول بافكاره في مجموعة الالغاز المحيرة التي اربكت تفكيره منذ ليلتين.

.....

في الجانب الاخر من العالم، كانت حركة غريبة تحدث في اسواق البورصة وحركة العملات، الاعلام الاقتصادي يضج بتقاريره حول هبوط مطرد باسعار معظم اسواق الاسهم واقبال متزايد من العملاء على المصارف لسحب اموالهم وودائعهم، وحديث عن بعض المشاكل الاقتصادية، فيما بدات بعض المصارف الامريكية تعاني من حالة اعسار مصرفي، وهي حالة تحدث عندما يكون حجم المطلوبات للزبائن اكبر من حجم الموجودات.

تلك هي الخطوة الاولى لتلك المصارف نحو *الافلاس*.

الفصل 38

عاد مهدي الى منزله في حي زيونة بعد ان انهى لقائه مع مها حيث استقل سيارة اجرة الى المنزل. فيما عادت هي الاخرى الى منزلها عندما بدات السماء تصب وابل امطارها على بغداد.

شعر مهدي بان الامر يزداد جدية مع كل اشارة يوحى اليه بها. وان عليه ان يجد ربطا حقيقيا لكل تلك الاشارات يوصله الى ما يجب ان يعرفه بالضبط. عاد يسترجع العلامات في ذهنه.. الرقم على جدار الزنزانة.. رقم الاية المكررة على شريط المحاكمة.. لوحة الصواريخ وعدد الصواريخ التي تحملها.. نبوءة نوستراموداس التاسعة والثلاثين..
اشعل سيكارة وهو يعيد فتح صندوق الرسائل في هاتفه المحمول وقراءة الرسالة النبوءة.

كان مما زاد في استغرابه ان يكون بعض نص النبوءة مشابها للاحداث التي واجهته تماما وحاملا الرقم المطلوب في الحين ذاته.
يجب لهذا اللغز ان يحل.
وضع نقاله جانبا لياخذ قسطا من الهروب عما هو فيه. امسك جهاز الريموت كونترول وشغل التلفاز فيما راح دخان سيكارته يملا المكان.
بينما هو يقلب محطات التلفاز. لفت نظره شريط احمر اسفل احدى القنوات. كان خبرا عاجلا بخصوص الازمات المالية التي بدات تحصل في عدد من البلدان. لم يهتم لذلك الخبر. فاختصاصه كقانوني لايفرض عليه متابعة اسواق المال والعملة. كما انه غير مهتم بذلك اساسا. فرغم ان والده كان خبيرا اقتصاديا ومستشارا للرئيس في الشأن الاقتصادي. الا انه لم يكن يعر الاقتصاد اي اهتمام يذكر.

ضغط على جهاز التحكم مجددا، تحول بين عدد من القنوات، استوقفه خبر عاجل اخر..
ارتفاع مطرد في اسعار الذهب العالمية بفعل زيادة الطلب.

كان ذلك الخبر العاجل يعرض اسفل شاشة تعرض صورا لعملية طباعة عملة امريكية من فئة 100 دولار كصور مرافقة لتقرير اقتصادي صوتي. رغم عدم اهتمامه بشؤؤن الاقتصاد، الا ان مهدي شعر بان اخبار المال هذا اليوم تحتل مساحة زمنية اكثر من المعتاد على شاشات القنوات المختلفة، دفعه فضوله الى رفع صوت التلفاز والاستماع الى بعض تلك التقارير.

في ذلك الحين، كانت المشكلة الاقتصادية قد بدات بالاستفحال اكثر في بعض الدول الراسمالية، من المؤكد ان تلقي بظلالها على اقتصاد دول اخرى، فالدولار الامريكي مثلا شديد الارتباط باقتصاد معظم الدول، وان اية مشكلة تواجهه ستواجه اقتصاد تلك الدول لامحالة، سيما وان اعمال التجارة التي تتم على مستوى بلدان وشركات عملاقة تتم فيها عمليات التحويل المالي بالدولار الامريكي واليورو الاوربي بشكل رئيسي، ثم تاتي العملات الاخرى كالجنيه الاسترليني والين الياباني تباعا.

بدوره، كان الرجل ذو البدلة الانيقة قد بدا يتابع من غرفته ذات الجدران الخشبية تلك الاخبار باهتمام بالغ، تنقل بين المحطات التلفزيونية ليستمع الى اخر مستجداتها، فيما كان حاسبه المحمول هو الاخر يعرض من على متصفحه عدة نوافذ لمواقع اقتصادية تهتم باسعار صرف العملات واحوال الاسواق.
عاد للتساؤل: بم يمكن ان يفكر مهدي الان ؟

في تلك الاثناء، كان قد مضى على مهدي نحو ساعة وهو يتابع اخبارا اقتصادية بهذا الاهتمام للمرة الاولى في حياته، انتبه الى الاخبار المتلاحقة عن الارتفاع المطرد لاسعار الذهب والبلاتين في الاسواق العالمية رغم الفوارق الطفيفة بين القراءات السابقة والتالية لتلك الاسعار، في الوقت الذي تشير فيه المؤشرات على شريط الشاشة الى تذبذب واضح في اسعار صرف العملات العالمية الرئيسية.

لم يفهم مهدي مايجري من جلبة اعلامية، وعلى سبيل الفضول، تناول هاتفه المحمول واجرى اتصالا هاتفيا مع احد زملاءه الاساتذة في الجامعة، كان الدكتور حسام محمد صالح استاذا في علم الاقتصاد بكلية الادارة والاقتصاد في جامعة بغداد وتربطه بمهدي علاقة زمالة وصداقة منذ زمن ليس ببعيد، اراد مهدي ان يفهم مايجري على شاشات التلفاز مستعينا بزميله ذاك، رن الهاتف المحمول لدى الدكتور حسام.
المحامي مهدي العلي.

-"السلام عليكم دكتور"، قال مهدي.
-"اه اهلا استاذ مهدي، كيف حالك ؟".
-"الحمد للّه دكتور، لم نلتق منذ فترة..".
-"صحيح، اخبرني استاذ مهدي، اين انت بعد اخبار وفاة الرئيس ؟".
شعر مهدي بالحرج من سؤال الدكتور حسام، لم يرد الحديث بذلك على الهاتف.
-"موجود وبخير، اخبرني عنك".
-"انا الحمد للّه، استاذ مهدي اريد ان افهم المزيد حول وفاة المختار، حدثني عن ذلك".

-"نعم دكتور، توفي الرئيس والتحقيق جار، سيطول هذا الحديث، دعه لوقت لاحق".
-"كما تحب، لكني ساطيل عليك النقاش حين نلتقي، لست مصدقا لما عرضته الداخلية بخصوص وفاته بشكل طبيعي كنتيجة لتحقيق اولي لكنني.."..
-"دكتور ارجوك !"، قال مهدي بنوع من الغضب، "ساشرح لك ذلك لاحقا"، اكمل: "اردت سؤالك عن امر جديد بحكم تخصصك الاقتصادي".
رد الدكتور حسام: "اه طبعا، من المؤكد انك ستسال عن الاخبار الاقتصادية الاخيرة"، قال ذلك مازحا.
-"نعم، كيف عرفت ذلك ؟".
-"لانك الشخص الثالث الذي يتصل بي حتى الساعة من زملائنا الاساتذة يسال حول الامر !".
-"بالطبع، فالامر مثير للفضول دكتور، اخبرني ماذا يجري الان في الساحة الاقتصادية ؟، انا قانوني وتخصصي و اطلاعي لايسمح لي بفهم مايجري".
رد الدكتور مهدي: "لاتقلق استاذ مهدي، مايجري هو بداية ازمة مالية قد تحل قريبا، حدث هذا قبل سنوات واستطاع العالم تجاوزه، لكن كن متيقنا انه حدث عابر، ثم اننا بعيدون كل البعد عن مايجري، اقتصادنا لن يتاثر".
اجاب مهدي: "لكن هل لك ان توضح لي اكثر ما الذي يجري دكتور ؟".
-"استاذ مهدي، عندما تصاب بعض الدول والشركات بازمة مالية غالبا ماتكون مفتعلة، يهرع زبائن البنوك لسحب ودائعهم وتامينها في مكان اخر غير المصارف، ستصاب تلك المصارف بقلة في احتياطها المالي وتطلب قروضا من جهات اخرى، ستتذبذب العملة بين ارتفاع لكثرة الطلب وانخفاض لقلة الثقة بها وسيتوجه الناس لضمان قيمة مالديهم نحو شراء الذهب فهو الوحيد القادر على المحافظة على قيمته، ولكثرة الطلب عليه سيؤدي ذلك الى ارتفاع سعره".

بدا ان الامور تتضح لمهدي اكثر.. اجاب:

"اها، لقد اتضحت الصورة الان رغم انني لا اعلم كيف بدات هذه الازمة".
رد الدكتور حسام ضاحكا: "اوه استاذ مهدي، كل ما استطيع ان انصحك به هو ان كنت تعيش في تلك البلدان فاشتري ذهبا باموالك الان !".
-"حسنا"، رد مهدي، "عندما اكون هناك سافعل !".
-"نعم استاذ، الذهب، الطبيعة الام ياصديقي !".
-"طيب دكتور، متن لك على معلوماتك المهمة جدا، اعدك بلقاء قريب".
-"طبعا، لكنه لن يكون لقاءا اقتصاديا فساستجوبك انا هذه المرة عما جرى للرئيس"قال الدكتور حسام.
-"ان شاء اللّه دكتور، اعدك بذلك".
-"حسن استاذ مهدي، كن مطمئنا عن حال البلد الاقتصادي".
-"شكرا لك دكتور، الى اللقاء".
-"الى اللقاء".
اغلق مهدي الاتصال مفكرا بما قاله الدكتور عن الازمة الاخيرة، علقت عبارة (الطبيعة الام) في ذهنه.
تذكر حوارات الرئيس المختار الطويلة حول الهوس الاقتصادي الذي كان ينتابه، كان كثير الشك بالاقتصاد العالمي ماجعله يبرر افعاله بالحصول على عائدات من مختلف المصادر حتى غير المشروعة منها ليواجه اي ازمة مالية محتملة باحتياطي ضخم من العملات الصعبة والذهب.

فجأة، تذكر الرسالة التي سلمها المختار له في احد لقاءاته به في زنزانته ايام المحاكمة، حينها كان قد قال له: "ستفهم ماكتبته هنا في الوقت المناسب !".
شعر مهدي بان عليه قراءة الرسالة مجددا، فهوس الرئيس الاقتصادي قد يكون له علاقة بالازمة الحالية.

تحرك نحو خزانة ملابسه واخرج صندوقا معدنيا برقم سري. فتح الصندوق واخرج الظرف الذي تحويه الرسالة التي سلمها اياه المختار طالبا منه ان يعده بان لا تظهر للعلن الا في حينها المناسب. وقتها لم يفهم مهدي معنى (حينها المناسب). كما لم يكن قد فهم ذلك حتى الساعة. اخرج الرسالة وفتحها وبدا بقراءة جزئها الاول..

كما قد حصل قبل حين..

سيحصل الان..

كروش ستنتفخ..

ورقاب ستعلق على المشانق..

يضرب ما سكته بابل من جديد..

ويستحيل القطن الى رماد..

ينزح النازحون..

و يهرب الاثرياء من بطش الجوعى..

تقوم الدائرة على الفاعل رغم جهلها بما فعل..

حبيبتي..

ستدركين كم كنت على صواب..

حينما فعلت كل مافعلت..

من اجل ان نحيا بالعيش الذي نريد..

في وقتٍ ينهارُ كل شئ حولنا..

بلا هوادة..

ابحثي في ذاتك عن النجاة..
لقد رميت لك الطوق..
فامسكيه بقوة..
لاتمدي له يدك قبل الاوان..
فسيستحيل حبل مشنقة..
ولا تتاخري عليه بعد الاوان..
فسيكون كل شئ قد انتهى..

قرأ مهدي ذلك النص معترفا لنفسه بصعوبة فك شفرته، الا ان شيئا ما فيها ذكره بما اخبره الرئيس به ذات مرة.
قدح ماتذكره براسه عائدا به الى احد لقاءاته بالمختار في زنزانته، يومها كان الرئيس قد اخبر مهدي بانه قد فعل مايجب ان يفعله للحفاظ على مستقبل البلاد من خطر اقتصادي داهم، لقد اخبر الرئيس مهدي بما فعله بالضبط.. بما خبأه بالضبط..!

سيضرب ما سكته بابل من جديد..
و يستحيل القطن الى رماد..

من وحي تلك الذكرى، تحرك مهدي مسرعا الى هاتفه المحمول وفتح رسالة نبؤة نوستراداموس التي تسلمها صباحا، قرا النص من جديد..

في الليل، سيخنق اخر واحد في فراشه..
لانه انهمك كثيرا بالوريث المنتخب الاشقر..

ذعر لما اتضح امامه.. مرسلوا الرسالة يبحثون عما خباه الرئيس لانقاذ البلاد..
عما خنقوا الرئيس من اجله في فراشه..
انهم يبحثون عن المنتخب *الاشقر*..
انهم يبحثون عن..
الذهب..!

الفصل 39

التاسعة مساءا بتوقيت بغداد.

انهت حماما شتويا ساخنا وخرجت من بين ذرات البخار المندفع من باب الحمام وهي تلف شعرها وجسمها بمنشفتين زهريتيين. كانت مها بجسمها الغض تخطو نحو غرفتها لترتدي ملابسها. دخلت الغرفة وهي تدندن. رمقت اوراق بحثها المتناثرة على السرير بلا مبالاة واستوقفها منظر جهاز حاسوبها المحمول الذي تركته على السرير وقد اسودت شاشته بعد دخوله في وضع حفظ الشاشة المؤقت. خلعت نعليها وجلست على السرير ومددت ساقاها عليه. تناولت حاسبها وحركت مؤشر الفارة. ظهرت صفحة المتصفح كما تركته على موقع فيسبوك. نظرت الى خانة الرسائل التي كانت تشير الى تسلمها رسالة جديدة.

وضعت ساقاعلى اخر ممدوتين على الفراش وجعلت حاسبها على فخذيها وفتحت الرسائل.

Mahdi Al-Ali (1)

ضغطت على مربع الرسالة الواردة وفتحت مربع الحوار.

"مها لقد حللت اللغز".

كان مهدي قد ارسل تلك الرسالة بعد ان توصل الى حل افتراضي للالغاز التي ارقته منذ ليال. ابتسمت مها وهي تشعر بدفعة ارتياح لرسالة استاذها الجديدة. بدات تكتب على لوحة المفاتيح.

"حقا ؟ اخبرني استاذ".

لم يتم العرض مؤقتا. فقد كان مهدي منشغلا باعادة قراءة رسالة الرئيس التي لايزال الكثير منها غامضا تماما. كان يحاول فك معاني الكلمات التي كتبها المختار في زنزانته فيما امتلات منفضة الرماد امامه باعقاب السجائر التي دفنها في تلك المنفضة تباعا. مرت عشر دقائق منذ ان ارسلت مها رسالتها دون رد من مهدي الذي كان مشغولا عن جهاز حاسوبه.

فجاة. رن الهاتف المحمول الخاص بمهدي بنغمته الافتراضية. التفت الى المنضدة المقابلة للاريكة ونظر الى نقاله.

مها الطالبة.

مد يده لتناول النقال الا ان الاتصال تم قطعه. عرف ان مها ارادت تنبيهه الى وجودها على موقع فيسبوك حاليا. فقد اخبرها مهدي سابقا بتقليل استخدام النقال معه الا للضرورة كونه يعتقد ان الخط الذي معه مراقب. او استخدام الاتصال دون التحدث عن قضية المختار وما تلاها من تطورات.

نهض الى حاسبه المحمول الذي تركه على الاريكة المقابلة. فتح جهازه الذي تركه في وضع سبات وتلقى رسالة مها على مربع الدردشة على فيسبوك وبدا بالرد عليها.

-"اهلا مها".

ردت مها التي كانت تنتظره بلهفة و فضول.

- "اهلا استاذ. اخبرني بما تمكنت من فهمه".

- "حسنا مها. هل اخبرتك سابقا عن رسالة الرئيس التي تركها بحوزتي من قبل؟".

- "كلا لم تفعل".

- "طيب. لقد ترك المختار لدي رسالة بخطه قال لي ان حينها سياتي وستفهم ماكتبت فيها".

- "نعم ؟".
- "وقد طلب مني ان اعده بالا اظهرها للعلن حتى يحين وقتها".
- "وما هي الرسالة ؟". قالت مها.
- "رسالة غامضة قراتها فتذكرت مافعله الرئيس في حكمه وما حوكم من اجله".
- "طيب ؟".
- "لقد اخبرني المختار بما كان قد خبأه لضمان مستقبل البلاد. انه الشئ الذي يبحثون عنه".

اجابت مها مستغربة:

- "هل حللت النبؤة ام ماذا ؟".
- "نعم. الوريث المنتخب الاشقر هو ماتريده الجهات التي تلعب لعبة الرموز. لقد فهمت مايعنيه ذلك".
- "استاذ لم افهم شيئا. ما علاقة الرقم 39 بكل هذا ؟".
- "حسنا ساخبرك بما فهمت".

بدأ مهدي يشرح لها ماتمكن من فهمه من كل تلك الالغاز المحيرة.

- "اسمعي مها. استخدمت الجهات التي قامت بقتل المختار ورسم الرقم 39 على جدار الزنزانة وارسال الاقراص ذات الاعادات وجعل المؤتمر الصحفي امام لوحة الصاروخ وبعث رسالة النبؤة كل ذلك منبهةً الى الرقم 39 للاشارة الى شئ ما".
- "وما هو".
- "مافهمته انهم ارادوا ان يشيروا بذلك الى الجهات العالمية التي ستثير المشكلة الاقتصادية العالمية التي كان المختار يستعد لمواجهتها".
- "اها".

- "و كما تعلمين، فان انصار نظرية المؤامرة يلقون باللوم في الازمات الدولية على الماسونية العالمية دائما".

- "صحيح !". كتبت مها وقد بدات الامور تتضح امامها.

- "وفي اذهان الكثيرين، فان اسرائيل هي احدى ايادي الماسونية، وان كان هذا صحيحا او لا فان نظرية المؤامرة تربط دائما اسرائيل بالماسونية خصوصا في اذهان العرب رغم ان الحركة تجمع العديد من الجنسيات والديانات حول العالم".

- "تماما !".

استمر مهدي:

- "اشاروا بالرقم 39 على تلك الالغاز للاشارة الى اسرائيل، فالرابط التاريخي الابرز بين العراق اسرائيل كان ضربة العراق لها بـ39 صاروخ بغض النظر عن الحروب العربية ضدها و التي اشترك العراق في جميعها، ثم انهم عززوا الفكرة باظهار لوحة الصاروخ".

- "ممم".

- "ارادوا اخباري بان"الماسونية" ممثلة باسرائيل والجهات المسيطرة على العالم ستقوم بالازمة العالمية المفتعلة، ثم ارسلوا رسالة نوستراداموس للاشارة الى ما خباه الرئيس من اجل انقاذ العراق من تلك الازمة".

صدمت مها لذلك التفسير الذي جاء به مهدي.

-"تماما استاذ، تفسير موفق للغاية".

اكمل مهدي:

- "تعمدوا ارسال النبؤة التي تشير الى الوريث المنتخب الاشقر وهو ما خباه الرئيس، يعتقدون باني اعلم بمكان ذلك الشئ".

- "وماهو ذلك الشئ ؟".

- "الذهب !".

- "ذهب ؟؟؟"، ردت مها باستغراب.

- "نعم مها، لقد خبا الرئيس المختار اطنانا من الذهب واخبرني عنها لكنه لم يخبرني ابدا بمكانها، لقد استعاض عن ذلك باعطائي رسالة غامضة".

- "تقصد الرسالة التي بحوزتك ؟".

- "بالضبط"، واكمل، "يجب فك شفرتها لمعرفة مكان الذهب، لكني لا اعلم من ستكون الايادي التي ستوضع عليه ان عثرنا على مكانه".

-"استاذ، لمَ لم تسالك الجهات التي تطاردك بالغازها عن مكان ذلك الذهب بشكل مباشر دون القيام بعملية ارسال الالغاز؟".

- "هذا مالم استطع معرفته، الى جانب ان الاعلام الحكومي لم يتحدث قط بخصوص ذلك الذهب الذي خباه المختار رغم انهم يبحثون عن اي شي بامكانه ان يدين الرئيس".

شعرت مها بان حلقة من الاحداث لاتزال مفقودة.

- "مممم لست افهم ذلك، بامكانهم استجوابك واخبارهم بالحقيقة، ثم كيف لمخزون مقدر بالاطنان من الذهب كما قلت ان يختفي عن اعين حكومة البلاد ؟".

- "مها، المختار كان متيقنا بان الذهب سيظهر الى العلن في الوقت المناسب، لا ادري كيف كان يشعر بهذا الشعور".

- "وماهو الوقت المناسب ؟".

- "لاادري"، اجاب مهدي، "لقد اخبرني بان اظهر للعلن ذلك في وقته المناسب، وحسب مافهمت، فان الازمة المالية العالمية هي الوقت المناسب لظهور الذهب، هذا مافهمته من احد زملائي الاقتصاديين رغم انه اكد لي ان اقتصادنا لن يتاثر، الذهب هو المنقذ لكن هل هذه هي الازمة ام لا ؟ لا اعرف".

ردت مها:

- "لقد ظلمنا المختار حينما اتهمناه بالاختلاس وغسيل الاموال"، واكملت، "لقد فعل ذلك من اجل انقاذنا".
- "تماما مها، اسمعي، غدا سنلتقي، ذلك ضروري".
- "مؤكد استاذ، اشعر بفضول كبير لقراءة تلك الرسالة".
- "طيب، اسف على ازعاجك".
- "بالعكس استاذ، ساتصل بك غدا".
- "طيب الى اللقاء".
- "الى اللقاء".

اغلق مهدي حاسبه المحمول وعاد يتابع اخبار الاقتصاد من جديد، فيما عادت مها لمراجعة الدردشة مع استاذها لفهم ماقاله بشكل اعمق.

الفصل 40

في منتصف تلك الليلة، كان مهدي قد فتح رسالة الرئيس مجددا وعاود قرائتها، اكمل مقطعها الثاني والاخير.

ثلاثة رجال ينقذون الامبراطورية..
اولٌ فعل..
وثانٍ يحمل سر الاول..
وثالثٌ يكشف الستار..
تتبع ارواح الموتى الاحياء..
في قبرٍ ازرق..
يقومَ على اعمدةٍ من ارواح..
في العمود الرخامي الاول..
في اللبنةِ الرابعة والاربعين..
يقف الرجل الثاني حاملا حمامة الزاجل..

كان ماينهي طرف الرسالة الايسر السفلي توقيع المختار بخط يده.
احس مهدي بان المقطع الثاني معقدٌ جدا ويصعب تحليله وفك شيفرته، قراه اكثر من مرة دون ان يصل الى ضفة ادراك لمقصد الرئيس في ذلك المقطع، الا ان جل اهتمامه و انتباهه انصب على السطر الاول من ذلك النص.

ثلاثة رجال ينقذون الامبراطورية.

فمجرد قراءة مهدي لتلك العبارة، عادت الى واجهة افكاره رسالة النبؤة التي وصلت الى هاتفه المحمول.

تستعبد الامبراطورية ويقوم مقامها ثلاثة رجال.

تشابه كبير.

لقد ترك المختار لغزا حله شبه مستحيل، ازداد شكه بخصوص سؤال علق في ذهنه هو الاخر.. هل هذه هي الازمة الي توقعها المختار ؟
تذكر مهدي كلمات زميله الاستاذ حسام بشان الازمة...
اقتصادنا لن يتاثر.

تسال ان كان عليه ان ينتظر اكثر قبل البحث عن المفقود ام ان لحظة البحث قد حانت.
نظر الى الرسالة مجددا.
اول فعل..
وثانٍ يحمل سر الاول..
وثالث يكشف الستار..

شعر بان تلك السلسلة لن توجد بسهولة، تسائل ان كان مايقصده الرئيس باؤلئك الرجال هو رجال حقيقيون ام انه تمثيل لشئ اخر.
في خضم تلك المعمعة الفكرية، طوقت افكاره اسئلة اخرى.
ان تم العثور على الذهب بعد فك الشفرة، من الذي سيضع اليد عليه ؟
لماذا لم يعترف المختار للمحكمة عما فعله وخباه ؟
لماذا لم يقم بايضاح ما قام به امام المحكمة ؟
لماذا لم يعلم احد بمكان الذهب ؟

احس بان دماغه صار يزداد كبرا بفعل تلك الاسئلة كبالون يقترب من الانفجار.

اراد استرجاع كل مايخص ماجرى له منذ ان رن هاتفه المحمول في تلك الليلة باتصال من القصر عندما طلب منه رجل عرف نفسه على انه (النقيب سلام) الخروج الى الشارع واستقلال سيارة الدفع الرباعي.
جال بافكاره حول لقاءاته بالرئيس في حفلات ذكرى التنصيب السنوية وعلاقة الرئيس بوالده المستشار، مر بدهاليز تلك الذكريات كمنقب عن اثار امتدت لعشر سنوات من حكم الرئيس محمد المختار، انعطفت به افكاره نحو حواراته مع والده حول الحكم ومنصبه كمستشار لرئيس الجمهورية.

كان والد مهدي رجلا مخلصا للمختار واقتصاديا بارعا، لكنه عانى في اخر ثلاث سنوات من حياته من عزلة خانقة اثر وفاة زوجته والدة مهدي في حادث سير، ماجعله منكبا على عمله كمستشار للرئيس في النهار ، باحثا عن انيس يقضي معه وقته في حديث دافئ في المساء، فكان مهدي يشعر بوحدة والده فيطيب من خاطره بان يفتح معه المواضيع ويعد له جلسة هادئة في حديقة المنزل يشاطر بها اباه الشاي وحديثا عن احب المواضيع اليه، الاقتصاد.
رغم ان مهدي كان يشعر ببعد افكاره وتوجهاته عن توجهات ابيه الاقتصادية، لكنه كان يتحدث مع والده بها لعلمه بان الاخير يحب الحديث بتلك المواضيع.

بتذكره لتلك الليالي الحنينة مع والده، عاد مهدي الى حواره معه ذات ليلة عندما اخبره اباه عن اول وزير للمالية نصب في اول حكومة عراقية، وما قام به من اجل البلاد من تاسيس لنظام اقتصادي مستقل ومتين، يتذكر مهدي ذلك الحديث جيدا بكل تفاصيله، لقد حدثه والده عن داهية الاقتصاد العراقي ووزير ماليته الاول حسقيل ساسون.

كان ساسون عراقيا يهودي الديانة، تسلم في الثالث عشر من اب من العام 1923 ابان الحكم الملكي مسؤوليته كمفاوض مع البريطانيين حول امتياز شركة النفط العراقية – التركية، وهي شركة بريطانية، وكان مما قرره ساسون بصرامة ان يكون الدفع للعراق من عوائد تلك الشركة كحصة للبلاد بالشلن الذهبي كسعر للنفط المباع، ورغم اعتراض البريطانيين على ذلك، الا ان اصرار ساسون على وضع عبارة (من الذهب) في العقد دفع البريطانيين الى الرضوخ لمطلبه، فاصبحت عوائد العراق تدفع بالشلن الذهبي بدلا من العملة الورقية البريطانية، مادعم اقتصاد البلاد بقوة بسبب ثبات قيمة الذهب بعد ان تذبذبت قيمة العملة البريطانية في ما تلا تلك الحقبة من احداث.

الذهب، الطبيعة الام ياصديقي.

عادت تلك العبارة التي قالها الدكتور حسام محمد صالح الى ذهن مهدي من جديد بعد تذكره حديثه مع والده عن حسقيل ساسون ، لقد كان الرئيس المختار مصيبا بكل ماقام به.

تذكر مهدي بعض الدعاوى التي اثيرت على المختار في المحاكمة ، كان الى جانب دعوى دعم القراصنة الافارقة دعاوى اخرى كثيرة، احداها كانت عن عملية استيلاء على كميات من الذهب من خزانة البنك المركزي للبلاد، نفذ المختار تلك العملية بالتعاون مع مخابراته في عمل بارع للغاية، بعدها تم الاعلان عن فتح تحقيق فيما حدث لاسكات الراي العام، واعلن حينها المختار ان النقص الذي حصل في خزينة البنك من الذهب بفعل تلك السرقة يجب ان يعوضه العراق بشراءه كميات تسد النقص بعملته الصعبة، اراد تبديل عملته الصعبة الورقية بالذهب المشترى من الخارج بشكل لايثير الشكوك امام المنظمات العالمية عما يفعله العراق مستغلا تلك الحجة، فلو عمل المختار على شراء الذهب بشكل مباشر من السوق العالمية،

لكانت بعض المنظمات والدول قد تنبهت الى حركة المختار المريبة وجمعه للذهب المثير للتساؤلات. فقام بعملية الاستيلاء على بعض ذهب البنك و تخبئته ثم شراء الذهب علنا بحجة السرقة التي حصلت على خزينة ذهب الدولة ما ابعد الشبهات عما قام به.

كانت تلك العملية الجنونية التي ارتكبها المختار والتي تلاشى الحديث عنها لاحقا بوعود حكومته بالقبض على الفاعلين احدى التصرفات التي ترجمت خشيته من الازمة العالمية القادمة، و هي ما اثارها الادعاء العام ضده في المحاكمة.

لقد كان الرئيس يريد الحصول على الذهب والاموال التي يستبدلها لاحقا بالذهب باسرع وقت ممكن وبشتى السبل. فقد كان هناك كابوس اخر يطارده، وهو كابوس سعي بعض الدول الكبرى في العالم للحصول على طاقة بديلة غير النفط. وبما ان النفط هو المصدر الاول والرئيسي لعائدات العراق فان عثور تلك الدول على مصدر طاقة اخر لها كتقنية المفاعل البارد (Cold Fusion) والنفط الحجري، سيغنيها عن النفط العالمي الذي يشكل نفط العراق جزءا كبيرا منه ويدر على البلاد اموالا طائلة. وبالتالي فان عائدات العراق ستنحدر مسببة تراجعا في ايراداته. لذا، اراد المختار فعل المستحيل لاستغلال حاجة العالم لنفط العراق في الوقت الراهن وتامين مستقبل البلاد باحتياطي من الذهب الممكن استثماره في انشاء مصادر دخل غير النفط مستقبلا قبل ان ياتي يوم تقل او تنتفي به الحاجة الى نفط العراق.

لقد كان بارعا للغاية.

ليس فقط في كيفية جمع الذهب، بل كيفية اخفاءه عن الانظار الى الحد الذي لم تعلن اي جهة معرفتها بما قام به حتى الان، كل ماتركه المختار هو شيفرة تدل على رموز وعبارات غامضة يجب ان تؤدي الى ايجاد ذلك الكنز الذي لايبدو ان احدا يعرف الكثير عنه سوى تلك الجهات التي تحاول تنبيه مهدي الى ماخباه الرئيس، والتي يبدو انها تعتقد انه يعرف سرا يؤدي الى ايجاده.

هذا مافهمه مهدي من مناجاته تلك الليلة، كان يتخبط في افكار شائكة، تلك الافكار قطعت عندما رنت الساعة الثمانينية البغدادية في صالة بيته معلنة تمام الساعة الواحدة بعد منتصف الليل.

الفصل 41

التاسعة صباحا بتوقيت بغداد.

كانت سيارة الجيب الشيروكي السوداء قد بدأت تخطط شارع منزل المحامي مهدي العلي جيئة وذهابا ببطء وقد استقلها عنصران مجهولان. بدت وكانها دورية مراقبة يبرز من سطحها هوائي اسود يتمايل مع حركة السيارة ذات الدفع الرباعي.

ذلك الصباح وكعادته، كان مهدي قد اعد فنجان قهوته الصباحية واضعا رسالة الرئيس على طاولة المطبخ ليرمقها بنظرة تفكير اثناء حركته في مطبخه.

تتبع ارواح الموتى الاحياء..
في قبر ازرق..
يقوم على اعمدة من ارواح..

بينما كان يرتشف فنجان قهوته الساخنة الذي اعده للتو، رن هاتفه المحمول بنغمته الافتراضية.
مها الطالبة.

كان تركيز مهدي على المقطع الثاني من رسالة الرئيس قد انساه موعده مع مها التي اتفق معها على حضورها الى منزله اليوم. قرأ اسمها على شاشة جواله بعد ان وضع نظارته الطبية وتذكر الموعد. فتح الخط واجاب.
- "الو.. صباح الخير استاذ.. ارجو الا اكون قد ايقظتك".
- "اهلا مها، ابدا انا مستيقظ"..

- "طيب استاذ هل بامكاني المجيء الان ؟".
- "آه طبعا، ساكون بانتظارك".
- "حسنا، عشرون دقيقة وساكون قد وصلت".
- "حسنٌ، سانتظرك".
- "مع السلامة استاذ".
- "مع السلامة".

اغلق مهدي الخط واعد الجزء الاول من الرسالة مع الاخر واضعا اياها في جيبه وانتظر مجيء مها ليخبرها بما استطاع ان يفسره من تلك الرسالة الغامضة ومازال مستعصيا منها عن الحل عليه حتى الان.

في ذلك الصباح، بدات اولى تقارير المختبرات الخاصة بتحليل احشاء الجثة 3297 تصل الى البروفسور سالم جرجيس وقد تطابقت نتائجها مع ما استكشفه في ذهنه كسبب لوفاة الرئيس المختار بمجرد كشفه عن الجثة في تلك الليلة، لكن ذلك لايهم، فتقرير الوفاة معد مسبقا بامر من اللواء ماهر عبد الفتاح.

في غرفته ذات الجدران الخشبية، كان الرجل ذو البدلة الانيقة لايزال يتابع تداعيات الازمة المالية العالمية، لقد بدا يحصل ماكان متوقعا، فقيمة الدولار بدات تنخفض باطراد بسبب تلك الازمة، فيما لايزال الذهب يواصل صعوده الجنوني ليبلغ ارقاما بدات تبدو انها ستكون عن قريب.. قياسية.

لدى وصول سيارة مها النسائية الى شارع منزل مهدي في حي زيونة، كانت سيارة الجيب شيروكي السوداء تتابع تماما توقف سيارتها امام باب منزل مهدي، شهد الاثير المحيط بالشيروكي في تلك الاثناء صدور اشارات اتصال ارسلتها السيارة

ذات الدفع الرباعي السوداء الى جهة ما. اعلمت تلك الجهة بتفاصيل مايجري تماما في شارع منزل مهدي.
ترجلت مها من سيارتها الصغيرة وضغطت على جرس الباب. كانت الشيروكي لاتزال تراقب وهي تمر في الشارع ببطء باستمرار. خرج مهدي ورحب بها ودخل الاثنان الى داخل منزل المحامي.

"استمر بالمراقبة والرصد".
كانت تلك اخر عبارة تلقاها الرجلين في سيارة الشيروكي..
باللغة الانكليزية.

جلست مها على الاريكة مقابل مهدي الذي اخرج من جيبه ورقة الرسالة الاولى.
"اعتقد انني اصبت في التحليل هذه المرة".
ردت مها: "كلي شغف لرؤية الرسالة استاذ".

وضع مهدي ورقة بيضاء من غير تخطيط على الطاولة المنخفضة. كان المكتوب عليها بقلم حبر ازرق. نظرت مها اليها و تناولتها.
شعرت بالفضول وهي تنظر الى خط يد رئيس الجمهورية القتيل محمد المختار والذي ترك كنزا لبلاده وحافظ عليه لانقاذها بل قتل من اجل ان يحافظ عليه لوقته المناسب.
سحبت نفسا عميقا بعد ان انهت قراءة مافي الورقة الاولى وقالت"حسنا استاذ. اخبرني بماتعرفت اليه".
قال مهدي: "طيب اقراي لي الرسالة وساخبرك بما فهمته منها".

بدات مها بالقراءة: .

"كما قد حصل قبل حين، سيحصل الان". نظرت الى استاذها.
"نعم مها". رد مهدي، "انه يقصد الازمة المالية، لقد وقعت ازمة مماثلة في ازمة الكساد العالمي في الثلاثينيات، كانت الازمة تلك قد تسببت في كوارث اقتصادية عالمية كبيرة، كما ان ذلك قد حدث مجددا في العام 2008 لكن بوطاة اخف، وهو هنا تنبه الى ان ذلك سيحصل مجددا، هذا مافهمته من هذه الكلمات".
"واعتقد انك قد اصبت في ذلك استاذ". هز مهدي راسه، واكملت:
"كروش ستنتفخ، ورقاب ستتدلى على المشانق".

اشعل مهدي سيكارة وقال:
"مها، ان لكل ازمة مالية اسباب، لاتتصوري ان تلك الازمات تتم من دون اياد خفية تتلاعب بها، لقد اخبرني والدي ببعض المعلومات عن ذلك، ان الهدف من صناعة الازمات هو استفادة منظمات عالمية متنفذة جدا منها واحكام القبضة على اقتصاد العالم، اما عن نفوذ تلك الجهات فيصل الى التحكم حتى بقرارات دول عالمية عظمى، وبالتاكيد، حالما يحققون ما ارادوه من ازمات فستتضاعف ثرواتهم اكثر وهذا ماقصده المختار بالكروش التي ستنتفخ، اما اصحاب المصارف الصغيرة المفلسة بفعل تلك الازمات فسيدفعون مابحوزتهم لزبائنهم ثم يفلسون، ما يجعل امامهم احد الاخيارين، اما الاستدانة من تلك القوى المتنفذة او الافلاس واقدام بعض مالكي تلك المصارف على الانتحار، او ان تقام ضدهم الدعاوى ويتلقون الاحكام هذا ما اشار له المختار بالرقاب التي ستتدلى على المشانق".
كانت مها تنظر بذهول الى استاذها الذي سرد لها كل تلك المعلومات مستعينا بما اتضح من رسالة الرئيس وماكان يتحاور به مع والده في تلك الامسيات الماضية، امتصت كلمات مهدي، ثم عادت تنظر الى الرسالة واكملت:
"يضرب ماسكته بابل من جديد، ويستحيل القطن الى رماد".

ابتسم مهدي وهو يتذكر ذلك الحديث مع الرئيس ذات مرة حين اخبره بما فعله بالضبط وقال:

"لقد كان الرئيس يثق بالذهب اكثر من العملة الورقية مها. مهما كان مصدر تلك العملة والقوة التي تتمتع بها. انه يقصد عودة الذهب كمصدر للقوة. ماسكته بابل هو العملة المعدنية.. الذهب. الفضة و النحاس. انه يشير الى عودة التعامل بالمعادن كالذهب و الفضة بهذه الطريقة لان الحضارة العراقية القديمة كانت الاولى في التاريخ التي اتخذت العملة المعدنية بديلا عن المقايضة لشراء وبيع السلع. وهو يلمح هنا الى عودة التعامل بالمعدن حين تستحيل العملة الورقية الى رماد".

"لكن لماذا اسمى العملة الورقية بالقطن تحديدا ؟". قالت مها.

اجاب مهدي: "لانها ببساطة ليست مصنوعة من الورق. بل من القطن !".

فغرت مها فاها وهي تستجمع كل ما يقوله استاذها. دفعها فضولها الى اكمال قراءة الرسالة:

"ينزح النازحون. و يهرب الاثرياء من بطش الجوعى".

نفث مهدي دخان سيكارته و قال: "باختصار مها. ستدب الفوضى في العالم اذا كانت هذه الازمة هي الانهيار الذي قصده المختار. سيبحث الناس عما يسدون به رمقهم بعد ان تنحدر قيمة نقودهم الى الحضيض. لقد قال العرب ذات مرة: (عجبت لمن لا يجد في بيته رغيف خبز ولايخرج على الناس شاهرا سيفه)".

شعرت مها بخطورة مايجري. ان صح ان الازمة الحالية هي بداية الانهيار الاقتصادي العالمي فتلك ستكون كارثة بامتياز.

عادت الى الرسالة واكملت:

"تقوم الدائرة على الفاعل. رغم جهلها بما فعل".

نظرت الى مهدي، احست بالغصة التي اعترته حين سمع تلك العبارة، اطلق مهدي زفيرا وقال: "لقد كان الرئيس يريد الحفاظ على السر عميقا، لم يشا ان يخلص نفسه من المحاكمة والحكومة الجديدة عن طريق اخبارهما بما فعله بالضبط، كان يعلم بانه سيكون الضحية".

ضمت مها شفتيها متاسفة لكلامه عن المختار، ثم عاودت القراءة:

"حبيبتي..

ستدركين كم كنت على صواب..

حينما فعلت كل مافعلت..".

قاطعها مهدي مكملا:

"من اجل ان نحيا بالعيش الذي نريد..

في وقتٍ ينهارُ كل شيءٍ حولنا.."

و قالا معا: "بلا هوادة !".

اتكأ مهدي وقال: "انه يحادث *بغداد* !".

كان سائق الجيب الشيروكي ينظر الى ساعته وهو يراقب منزل مهدي، شعر بالملل من مهمته التي يرافقه بها زميل له اكثر صبرا على المراقبة والانتظار، رفع صوت مسجل السيارة وبدءا يستمعان الى موسيقى الريف الامريكي، بينما بدات سماء بغداد كانها تستانف زخ امطار الامس.

لم يلحظ الرجلان ان احدى كاميرات المراقبة المثبتة على جدران احد المنازل القريبة كانت تصـــور تحركات سيارتهما ومرابطتها المتواصلة للشـــارع. ففي حي زيونة و بعض الاحياء الاخرى في العاصـــمة. مـــن الطبيعي ملاحظة وجود كاميرات مراقبة فوق المنازل وهي توجه عدســـاتها نحو الاسيجة الخارجية لها ونحو الابواب كاجراء ضد السرقة. الا ان تلك الكاميرا بالذات كانت تقوم بواجب مختلف تماما.

الفصل 42

"ابحثي في ذاتك عن النجاة..
لقد رميت لك الطوق..
فامسكيه بقوة.."..

كانت مها لاتزال تقرا رسالة الرئيس بشغف وتنتظر تفسيرات استاذها للنص الذي تركه المختار.
"يلمح الرئيس هنا"، قال مهدي، "الى ان الذهب الذي يخبئه هو في بغداد نفسها، ابحثي في ذاتك، مها، بغداد ليست بالمدينة الصغيرة، سيكون البحث شاقا".

تسائلت مها: "استاذ، الم يلمح لك الرئيس عن اي مدلولات حينما اخبرك عن الذهب ؟ اية اماكن، اي اشخاص ؟".
اجاب مهدي واثقا: "ابدا، مافي يدك من رسالة هو كل ماتسلمته منه بخصوص الذهب".

اعادت مها النظر في الرسالة واكملت القراءة:
"لاتمدي له يدك قبل الاوان فسيستحيل حبل مشنقة، ولا بعد الاوان فسيكون كل شيء قد انتهى".
اطفا مهدي سيكارته وقال بنبرة غضب: "وكيف لنا ان نعرف الوقت المناسب؟".
سحب نفسا عميقا واكمل: "انه يريد العثور عليه في الوقت الذي يكون فيه الذهب منقذا بلا استعجال او تاخير، لقد وصف العثور عليه قبل اوانه بحبل المشنقة، اما التاخر في العثور عليه فهو امر واضح، فسيكون الانهيار قد دمر اقتصاد البلد تماما، لكن اي انهيار ؟ و متى ؟ الحالي او غيره ؟.. لا اعرف !".

هزت مها راسها وهي تتخيل حجم المسؤولية التي القاها الرئيس على محاميه، تزاحمت الافكار والاسئلة في راسها..

كيف اخفى المختار الكنز حتى عن اعين الدولة ؟

اين ذهب من ساعده على اخفاءه ؟

قالت: "استاذ، يجب ان يكون هناك اخرون يعرفون بمكانه، لانه لايمكن لشخص واحد القيام بكل تلك المهمة".

اخرج مهدي الورقة الثانية من الرسالة من جيبه وقدمها لها: "قد يجيب هذا على تساؤلاتك !".

نظرت مها الى الشطر الثاني من الرسالة، لايزال خط الرئيس يتحدث على الورق امامها، نظرت الى النص المرتب على الورقة كشعر حر... وقرات:

"اولٌ فعل..

وثانٍ يحمل سر الاول..

وثالثٌ يكشف الستار..".

قالت متسائلة: "من هم هؤلاء الثلاثة ؟".

اجاب مهدي: "مهما يكونون، يجب التعرف عليهم، افترض الاول هو الرئيس نفسه فهو الذي فعل الامر برمته، اما الثاني فقد اتت على ذكره تفاصيل غامضة في باقي النص، اكملي".

نظرت الى الورقة واكملت..

"تتبع ارواح الموتى الاحياء..
في قبرٍ ازرق..
يقوم على اعمدةٍ من ارواح..".

قال مهدي: "هل فهمت من ذلك شيئا ؟".
لم تجب مها واكملت بصوتها..

"في العمود الرخامي الاول..
في اللبنة الرابعة والاربعين..
يقف الرجل الثاني حاملا حمامة الزاجل"..

نظرت الى مهدي وقد احست باندماج كلي مع كلمات الرئيس، "كيف يمكن لقبر ان يتكون من اعمدة من رخام ولبنات من هذا العدد ؟"، قالت.

نهض مهدي وقد غاص عميقا هو الاخر بتلك الكلمات، استانفت مها: "استاذ، قلت ان المختار قد لمح الى ان الطوق الذي فسرته على انه الذهب موجود في بغداد".
اجاب مهدي: "تماما، ابحثي في ذاتك عن النجاة !".
سالت مجددا: "هل تعرف شيئا عن قبر ازرق في العاصمة ؟".
جال مهدي بافكاره: "مها، المقابر في بغداد قليلة كما تعلمين فالمقبرة العراقية الكبرى هي في وادي السلام بمحافظة النجف بل هي من اكبر المقابر على وجه الارض كلها".

"واذا اردت التفكير بتلك المقابر القليلة في العاصمة"، قالت مها، "قد يكون المختار قد دفن كنزه في احداها او قرب احداها".

تسمر مهدي مكانه وقد واتته فكرة ذكية، جلس امام مها وقال: "هل تعتقدين ان المختار وبالقائه اللوم على نظرية المؤامرة اراد الربط بين الكنز ومقبرة الانكليز في بغداد ؟".

صعقت مها لتلك الفكرة، قد يكون صحيحا ان يربط الرئيس كنزه بمقبرة الانكليز !، الا انه لا قبر ازرق في ذلك المكان.

تقع مقبرة قتلى القوات البريطانية في منطقة الوزيرية في سط بغداد على جانب الرصافة، وتضم رفات اكثر من 2000 جندي انكليزي وبولندي وهندي وسيخي ومسلم قضوا ابان الحملة البريطانية على العراق في الحرب العالمية الاولى، كما ان من بينهم بضعة جنود اتراك قاتلوا الى جانب الامبراطورية البريطانية ضد الدولة العثمانية التي كانت بريطانيا تخوض الحرب ضدها، وجميع اولئك الجنود بجنسياتهم المختلفة يمثلون قوات الكومنولث التي حاربت العثمانيين وانتزعت العراق من احتلالهم له والذي دام نحو اربعة قرون، حيث تمكنت القوات البريطانية من دخول بغداد في اذار من العام 1917، ويشمخ وسط المقبرة بارتفاع ثلاثة امتار شاخص على شكل قبة رمادية يمتد تحت ظلها قبر الليوتاننت جنرال فريدريك ستانلي مود قائد الحملة البريطانية على العراق، والذي قتلته الكوليرا في 18 نوفمبر 1917، حيث ان ذلك الوباء لم يكن رحيما معه ومع قواته كما لم يكن العراقيون كذلك ابان فترة الاحتلال الانكليزي لبلادهم.

بين كل تلك الافكار حول مقبرة الانكليز، كان مهدي ومها يفكران بامكانية ان يكون المختار قد قصد تلك المقبرة بدفنه سرا فيها، لكن ذلك لن يكون الذهب على الارجح، فلا يمكن العبث في تلك المقبرة بسهولة كونها مكان مكشوف لايفصل بينه وبين المارة سوى سياج حديدي، الى جانب ان السفارة البريطانية تتابع عن

كثب حال تلك المقبرة وتتكفل بين فترة واخرى بصيانتها. لذا فان اي عمل كهذا قد تعتبره تلك السفارة تخريبيا وقد يحدث ذلك جلبة اعلامية وهذا اخر شيء قد يريده المختار ان يحدث وهو يحفظ كنزه. اضافة الى ان السفارة التركية تقع على الجانب الاخر من الشارع مايجعل تلك المنطقة مميزة و مراقبة. ويبدو ان الاتراك قد اختاروا هذا المكان لسفارتهم لرفع علمهم على مبناها ليكون مواجها لمقبرة اعداء الامس البريطانيين كنوع من اثبات الوجود. رغم انه وعلى مسافة قريبة وفي منطقة باب المعظم. توجد مقبرة القتلى الاتراك التي تضم رفات نحو 32 جنديا تركيا احيطت مقبرتهم بسياج حديدي انيق. فيما تمتد بين قبورهم طرق من المرمر الابيض الممتد بدءا من بوابة علقت عليها يافطة تحمل عبارة (مقبرة الشهداء الاتراك) الى جانب العلم التركي.

"استاذ. لايمكن ان تكون تلك مقبرة الانكليز". قالت مها. "ان المختار واضح في كلماته. قبرٌ ازرق. ومقبرة الانكليز لايوجد فيها اي لون عدا الشواخص الرمادية و البيضاء للقبور".

"لادري لماذا اشعر بانه يقصدها يا مها". قال مهدي.

عادت مها للنظر في الرسالة..
تتبع ارواح الموتى الاحياء..

"الاحياء". علقت في ذهنها تلك الكلمة. ففي الديانة الاسلامية وقرانها المقدس. اكدت الايات على ان"من يقتل في سبيل اللّه"هو حي يرزق.

"انها مقبرة شهداء اسلامية استاذ". قالت هي.
"كيف ؟". سأل مهدي بلهفة.

اجابت مها: "لايمكن ان يكون الموتى احياء الا عندما يكونون شهداء حسب ماجاء في القران، المختار اشار الى الموتى الاحياء، و هو كثير الاستشهاد بالنصوص القرانية كما راينا في المحكمة، اي انه مؤمن جدا بالقران".

قطب مهدي حاجبيه وقال: "من الممكن ذلك، لكن لاتوجد مقابر شهداء بارزة في بغداد، لقد دفن شهداء الحروب في مقابر متفرقة في البلاد".

امعنت مها النظر مجددا في الرسالة.

في قبر ازرق يقوم على اعمدةٍ من ارواح...

تذكرت احدى سفراتها المدرسية حين كانت طفلة، و عادت الى تلك الذكريات التي لم تمح من ذهنها حتى اليوم، اغمضت عينيها و هزت راسها لما راته من مفاجاة.. ثم قالت:

"استاذ، لقد كان المختار بارعا في رسم الكلمات..".

"كيف ؟"، قال مهدي..

"انه يقصد *نصب الشهيد* !".

الفصل 43

في الجانب الاخر من العالم، كانت حالة الهلع المصرفي قد تفشت في الولايات المتحدة الامريكية بشكل واسع، وبدات عملية التهافت على البنوك من قبل المودعين لسحب ودائعهم بشكل جنوني بعد ان اشيع خبر اعلان احد المصارف افلاسه، و توالت اخبار انهيارات البورصة.

لم تنفك شاشات التلفزيون عن متابعة حالة الهبوط الذي يتعرض له الدولار في الولايات المتحدة وبعض الدول المرتبطة به بشكل مباشر، حيث كان من اهم الاخبار ان اعلن البنك الفدرالي الامريكي والمعروف بـ(FED) عن نيته خفض الفائدة على قروضه بشكل كبير لتجنب الكارثة التي قد تحدث كما حدث عام 2008، حينما حاول ذلك البنك رفع الفائدة قليلا ما فجر ازمة مالية دفعت بـFED الى خفض الفائدة مجددا الى مايقارب الصفر.

(انا اسف ياصديقي، لقد كنت مخطئا، اقتصادنا سيتاثر ان استمر الحال كذلك). كان مهدي قد تسلم تلك الرسالة من زميله الدكتور حسام محمد صالح الذي كان قد طمانه في الامس على الاقتصاد الوطني وهاهو يعتذر الان على خطاه في التقدير.

شعر مهدي بشد اعصابه بعد قراءته الرسالة واخبر مها عما جرى من اتصال بينه بين الدكتور حسام حول الازمة الاقتصادية الراهنة وماتعنيه هذه الرسالة الان.

احست مها بانها كانت محظوظة لتشهد معتركا كهذا سيحدد مصير البلاد، و سرت فيها رعشة من الحماس للبحث عن كنز المختار.

"استاذ، لقد حان الوقت لنتحرك !".
هز مهدي راسه بالرفض: "من سيضمن ان هذه اللحظة المناسبة للبدء بالبحث؟".
ردت مها: استاذ، ان الدكتور حسام يبدو الان واثقا من خطورة الوضع، من رايي ان نذهب فورا الى نصب الشهيد ونبحث عما يريد الرئيس ان نبحث عنه".
"ليس قبل ان التقي بالدكتور حسام اولا مها"، اجاب مهدي.

احست مها بخيبة امل لما قاله، الا انها هي الاخرى كانت بحاجة الى التعرف على مايجري حول العالم بالضبط.

"هل ستخبر الدكتور عن السر استاذ ؟".
"ابدا مها"، قال مهدي، "لكنه سيتنبه الى اهتمامي بالجانب الاقتصادي لهذا الحد، يجب ان اقنعه بان ذلك هو مجرد فضول".
"طيب ساخلصك من هذه المشكلة".
استغرب مهدي ماقالته، "كيف ؟".
"استاذ"، اجابت مها، "الدكتور حسام يعمل في كلية الادارة والاقتصاد وهي بناية منفصلة عن جامعتنا، لن يعرف باني طالبة لديك، قل له باني طالبة في كلية الادارة والاقتصاد التابعة للجامعة المستنصرية وبحاجة الى خبرة استاذ في كلية الادارة والاقتصاد من احدى الجامعات الاخرى لاعداد بحث حول الانهيار الاقتصادي العالمي".

ضحك مهدي من كلامها بعمق، "وان سالك عن معلوماتك الاقتصادية ايتها القانونية ؟ لن ادافع عن طالبة كسولة مثلك".
ضحكت مها وقالت: "دع الامر لي استاذ ولنتصل به".

بعد دقائق، كان مهدي قد انهى اتصاله مع الدكتور حسام طالبا زيارته وقد تلقى منه ردا بالايجاب ممزوجا بروح دعابته المعهودة.

في غرفته ذات الجدران الخشبية، كان الرجل ذو البدلة الانيقة يذرع الغرفة جيئةً و ذهابا بعد سماع اخبار الصباح الاقتصادية.
اوشك الكابوس على الحدوث.

تحرك نحو مكتبه المصنوع من خشب الصنوبر القاسي، رفع سماعة الهاتف واجرى اتصالا قصيرا ثم اغلق الخط.
لقد بدا مهدي بالتحرك.

.....

بعد ان هدات الامطار الينايرية الغزيرة، كانت سيارة مها قد تخطت شارع منزل مهدي وهي تقل مهدي و مها متجهة للخروج من حي زيونة الى شارع فلسطين الرئيسي، لم يلحظ الاثنان انهما متابعين من قبل سيارة جيب شيروكي سوداء بهوائي على سقفها.

بعد ثوانٍ من اغلاق سماعة الهاتف، تلقى الرجل ذو البدلة الانيقة اتصالا، هز راسه مستمعا ثم اغلق الخط، تناول هاتفه المحمول واجرى اتصالا مع احدهم ثم انهى المكالمة وقد شعر بتوتر شديد.

الفصل 44

يقع منزل الدكتور حسام محمد صالح في حي الجادرية وسط بغداد، وهو من الاحياء القريبة لنهر دجلة في رصافة العاصمة، كما ان ايقونة هذا الحي هو المجمع الرئيس لجامعة بغداد كبرى جامعات البلاد، والتي يشمخ في بوابتها قوسها الشهير غير المكتمل الالتقاء من الاعلى والذي صممه المهندس المعماري الالماني والتر كروبس عام 1957 للاشارة الى ان العلم والمعرفة لامحدودين.

ما ان وطات عجلات سيارة مها ارض شارع فلسطين متوجهة نحو الجادرية، حتى اختفت سيارة الشيروكي مبتعدة عنها وسالكة طريقا اخر، فيما كان شيء صغير اسفل غطاء الاطار الخلفي لسيارة مها يومض بضوء احمر متقطع.

بعد ان اقتربت سيارة مها من تقاطع الجامعة التكنلوجية داخلة منطقة الكرادة باتجاه الجادرية، كانت سيارة اجرة صفراء قد بدات بتتبعها عن كثب، لم ينتبه الاثنان في السيارة الى ان عجلة الاجرة كانت ورائهما.

في غرفة اللواء ماهر عبد الفتاح، رن الهاتف على مكتبه باتصال من مدير دائرة الطب العدلي، اجاب اللواء على الاتصال، وشعر بالارتياح لقرب اكتمال الاجراءات الصورية لتشريح جثة الرئيس المختار.
سيعلن الى العالم قريبا عن ان الرئيس توفي اثر سكته قلبية مفاجئة وسيسدل الستار على هذه القضية، خصوصا وان العالم ينشغل الان بفوضى تساقط البنوك في بعض الدول الكبرى الواحد بعد الاخر بسبب الازمة المالية الراهنة.

في مكان ما في العاصمة بغداد، تلقى رجل اشقر ضخم الجثة نداءا عبر جهاز خاص اخبره بان الهدف يتوجه غربا بسيارة نسائية صغيرة، امر بمتابعة مراقبة الاشارة الصادرة من تلك السيارة عبر جهاز التتبع ذو الوميض الاحمر الملصق اسفلها.
كان ذلك الرجل هو سكوت اوزيلينغ مسؤول احدى الشركات الامنية الخاصة في بغداد، و هو رجل اربعيني امريكي الجنسية يتمتع بقوام عضلي ممشوق وله لحية شقراء اسفل حنكه ويحمل على ذراعه الايسر وشم على شكل وجه نمر يبدو كأنه ناتئ من ذراعه لدقة رسمه بابعاد ثلاثية.
منتظرا تحديثا على المعلومات التي وردته عن اتجاه مهدي، نهض اوزيلينغ من مكتبه ليعد لنفسه قدرا من مخفوق مسحوق البروتين مع الحليب، فيما حملت لافتة سوداء خلف مكتبه صورة وسطها بدت كانها نسخة من وشم النمر على ذراعه واسفلها كتبت العبارة الانكليزية Black Sand.

تعتبر بلاك ساند من اكثر الشركات الامنية الخاصة في العالم رعبا، ولها الالاف من المرتزقة المنتشرين حول العالم والذين يتمتعون بقوة جسمانية وتدريب عال ومسلحين باحدث الاسلحة الخفيفة والمتوسطة، الى جانب عجلاتهم المصفحة وطائراتهم المروحية الصغيرة من طراز بيل وهيوي، تقدم تلك الشركة خدماتها للحكومات والشخصيات حول العالم لقاء اجور باهضة، ويحمل مرتزقة البلاك ساند مختلف الجنسيات الا انها شركة خاصة امريكية الصناعة.

في بغداد، كانت الحكومة العراقية الجديدة التي تسلمت الحكم بعد اقصاء الرئيس المختار قد استخدمت شركة البلاك ساند للقيام بمهام حماية شخصيات نافذة في البلاد، ذلك الامر تم بموجب اتفاق بعض الشخصيات في الحكومة والبرلمان العراقيين مع تلك الشركة للعمل على تمرير قرار استخدام البلاك ساند مقابل حصول تلك الشخصيات على عمولة من المال المدفوع للشركة من قبل الحكومة العراقية.

كانت مسـالة فساد مالي بحته، الى جانب ضغوط مارستها جهات امريكية على الحكومـة العراقية للسـماح لتلك الشركة بتقديم خدماتهـا في العراق بعد رحيل الرئيس المختار عن دفة حكم البلاد.

ضغطت مها على جرس منزل الدكتور حسام محمد صالح حيث كانت مع مهدي بانتظـاره وقد حملت عددا من الاوراق و قلم في يدها للتظاهر بكونها طالبة جائت لتسـتقي معلومات عـن بحث تخرجها، خرج لهما الدكتور حسـام بابتسـامته العريضـة وادخلهمـا الى منزله، فيما كانت سـيارة الاجرة قد مـرت للتو من امام منزل الدكتور حسام ناقلة مايجري الى الجهة التي ارسلتها بتلك المهمة.

في تلـك الاثنـاء، كانت كاميرا المراقبة المثبتة على المنـزل المقابل لمنزل مهدي لاتزال تراقب الشـارع ومنزل المحامي بالخصوص، وقد لاحظت عودة سيارة الشيروكي الى ذلك الشارع من جديد وهي تسير بسرعتها المنخفضة.

الفصل 45

احس مهدي ومها بالدفء حالما دخلا صالة منزل الدكتور حسام محمد صالح. نظر مهدي الى الاثاث الكلاسيكي في الصالة والذي لم يتغير منذ سنواتٍ عرف بها الدكتور حسام. كانت صالة منزله شبيهة بمنازل الجنرالات الانكليز المتقاعدين. مدفاة زيتية وراس غزال محنط معلق في الجدار. فيما كانت قطته البيضاء المرقطة بالاسود "تارا" نائمة قرب المدفاة قريبا من كرسي هزاز يستخدمه الدكتور.

جلس الاثنان على اريكة تقابل الكرسي الهزاز للدكتور حسام الذي تركهما لوحدهما ودخل المطبخ. كان حسام يعيش منفردا في داره الواسعة تلك بعد ان خرج ابنيه من البلاد كلاجئين في احدى الدول الاوربية. فيما كانت زوجته مسافرة لتلبية دعوة ابنائها لزيارتهم.
ما ان عاد الدكتور الى الصالة. حتى شم مهدي ومها رائحة القهوة العربية التي اعدها لهم. اضفت ابتسامته الهادئة الاطمئنان على نفس مها التي كانت تشعر بغرابة المكان.

"حسنا استاذ. قلت لي بان طالبتك بحاجة الى المساعدة". قال الدكتور مقدما القهوة لهما.
"هذا ما اتصلت بك من اجله دكتور". قال مهدي وهو يبدا باعداد اجوبته لذلك الاختلاق.
"ما اسمك ؟". قال الدكتور لمها. اجابته بخجل. ثم قال لمهدي"من اين سنبدا الان استاذ ؟".
اجاب مهدي متمتما: "احم. دكتور. اعتبرني انا الطالب واريد ان افهم الانهيار الاقتصادي حق الفهم".

ضحك الدكتور حسام بعمق وقال: "طيب ياصديقي، ساشرح لكم الامر".

سحب نفسا عميقا واكمل: "يجب ان نفهم ان مايجري ليس محض صدفة، و ان من يملك صناعة المال بامكانه ان يدمره لماربه الخاصة بالطبع، ما نحن مقبلين عليه هو عصر نهاية العملة وسيادة المزارع والمعادن".

"المزارع ؟"، قال مهدي.

"نعم"، اجاب حسام، "ان كانت لديك مزرعة صغيرة فقد تبقيك حيا حين تستحيل العملات الورقية الى رماد".

عادت لذاكرة مهدي كلمات رسالة المختار:

يضرب ماسكته بابل من جديد..

ويستحيل القطن الى رماد..

"اكمل دكتور"، قالت مها وقد تظاهرت بتدوين ما سيقوله حسام في اوراقها..

تحدث الدكتور حسام: "لنبدا من البداية، منذ ان كان البشر يعملون بنظام المقايضة، ادخلت بعض حضارات العالم القديمة كالحضارة العراقية الذهب والفضة والنحاس كمسكوكات يتم بموجبها شراء السلع والخدمات، ولما كان الناس يخشون على ذهبهم من السرقة، اخترع احدهم خزانة حصينة ليحفظ بها ذهب اولئك الخائفين على ذهبهم، وبمقابل ذلك سلمهم عقودا وسندات لضمان حقهم في ذهبهم الذي اؤتمن عليه، من ذلك برزت فكرة صناعة العملة الورقية والتي اصبحت بديلا سهلا وناجحا عن استخدام الذهب، فانتشرت بذلك فكرة المصارف وايداع النفائس مقابل السندات والعملات، الى هنا كان كل شيء على مايرام، حتى امتدت ايادي الطامحين الى استعباد البشر الى المال وبدا ذلك في القرون الوسطى في اوربا، و تحديدا في فرانكفورت في المانيا".

نظر مهدي ومها بعضهم الى الاخر.. و اكمل الدكتور:

"كانت تلك بداية المؤامرة، حيث اجتمع ثلاثة عشر من كبار تجار الذهب والفضة ليبدأوا عملهم عند مصرف امشيل مايرباور والمعروف بروتشيلد، تلك العائلة اليهودية، وقرروا فرض سيطرتهم على الثروات والموارد الطبيعية والبشرية في العالم باسره عن طريق توحيد ثرواتهم كقوة مالية واحدة، فدبروا العديد من المكائد وعمليات التصفية ضد من وقف في طريق مشروعهم الشيطاني الرامي الى استعباد بني البشر عن طريق الاقتصاد، حدث ذلك بعد ان وجد المرابون اليهود انفسهم امام سخط الحكومات الاوربية التاريخي و الممتد منذ القرن الثالث عشر، حين قامت تلك الحكومات بترحيلهم قسرا بسبب مراباتهم التي مارسوها على الاخرين واحيانا على الفقراء اليهود انفسهم".

ارتشف شيئا من قهوته واكمل:
"لنعد الى روتشيلد وعائلته، لقد كان لليهودي لامشل موسى بلور ابنا اسمه امشل مايرباور، دربه والده على الصرافة والمال، توفي حين كان الابن في عامه الحادي عشر من العمر، بدا الابن حياته ككاتب في مصرف اوبنهايمر واثبت جدارته في كل مايتعلق بالصرافة، ما حدا بصاحب المصرف ان يدخله كشريك في مصرفه، ثم لم يلبث حتى عاد الى فرانكفورت ليدير المؤسسة المالية التي تركها له والده، اما تسمية روتشيلد فقد استقاها من الدرع الاحمر الذي كان موضوعا من عهد الاب فوق تلك المؤسسة، فقرر مايرباور اتخاذ ذلك الدرع اسما للعائلة، و(روت شيلد) بالالمانية تعني الدرع الاحمر.. وهكذا صارت عائلة روتشيلد".

استمر حسام شارحا فيما قفزت تارا الى حجره..

"كان لمايرباور خمسة اولاد اصبحوا بفعل تدريب اباهم عباقرة في المال والاقتصاد. حتى ان احدهم كان في الواحد والعشرين من العمر حين اوفده ابوه الى انكلترا للامساك بزمام اقتصادها. وكان ذاك هو ناثان روتشيلد. اما ابوه فقد اجتمع في فرانكفورت مع اثنا عشر من كبار الاغنياء لتوحيد الثروات معهم وتاسيس مجموعة اقتصادية واحدة سيكون لها الاثر في اثارة المشاكل الاقتصادية لصالح تلك الايدي".

"اثنا عشر رجل فقط ؟"، قالت مها.
"نعم مها، وستعرفين ما قام به هؤلاء الافراد".

اكمل حسام :
"كانت سيطرة روتشيلد قد فرضت على فرنسا بعد اتفاقه والاثنا عشر رجلا على خطة ينتهي بتنفيذها باحكام السيطرة على فرنسا اقتصاديا عن طريق مناوراتهم بثرواتهم متحدة، ماسيخلف ظروفا اقتصادية قلقة وحرجة، بحيث تتفشى البطالة في فرنسا بشكل واسع. وبذلك سيلقى اللوم على الملك والبلاط وطبقة النبلاء ورجال المصانع، الى جانب الطابور الخامس الماجور الذي سيعمل على اشاعة الخوف والفوضى، ثم يخرج من يطالب بالحقوق والانتفاض على السلطات، وفجاة بعد الثورة، سيجد الناس انفسهم امام حرية تامة، ماسيسمح باثارة النزعات الطبقية داخل المجتمع.
تلك الاجواء ستسمح للمتامرين بمد ايديهم نحو الاقتصاد، اما الحكام الجدد فليس امامهم سوى الاستدانة من اولئك الاثرياء لانعاش الاقتصاد المتهالك، وهذا طبعا يتم بالمراباة التي يطبقها المتامرون بثرواتهم على تلك الحكومات الفتية، مايجعل ناصيتها بيد اولئك الاثرياء وعلى راسهم روتشيلد".

قال مهدي و قد بدا مندمجا مع حسام: "لكن دكتور، الم تشعر تلك الحكومة بتلك اليد العابثة رغم كل ما فعلت ؟".

ضحك الدكتور وقال: "بل فعلت يا صديقي، لقد تلقت حينها ماري انطوانيت ملكة فرنسا رسالة من شقيقتها تنبهها فيها بوجود مؤامرة يلعبها اصحاب المصارف الكبار، لكن ماري لم تصدق ذلك، فلم تكن مقتنعة بان الماسونية في فرنسا باستطاعتها ايصال راسها الى المقصلة".

"الماسونية ؟"، قال مهدي متفاجأً.
اجاب حسام: "الماسونية ياصديقي ترتبط وثيقا بعائلة روتشيلد والمتحالفين معها، ان اهم اسلحة تلك الحركة طيلة تاريخها كانت الاقتصاد، الاعلام و القوة العسكرية، لذا فان خطأ ماري انطوانيت بتقدير قوة الماسونية في فرنسا اوصلها الى المقصلة فعلا، بعد ان عمل الماسونيون على تشويه سمعتها بيد وتجويع الفرنسيين بيد اخرى عن طريق المناورة بثرواتهم الضخمة، فثار الشعب الفرنسي على لويس السادس عشر وزوجته ماري انطوانيت وقضوا عليهم في ثورتهم الفرنسية".

"لكن الفرنسيون"، قالت مها، "اصبحوا احرارا بعد تلك الثورة وهم يحترمونها جدا"، اجاب الدكتور: "هذا صحيح، لكن الحرية تلك خدمت المتامرين ايضا، بل هي حريتهم بالتحكم بمصائر الشعوب، فالحكومات التي تشكلت بعد الثورة وجدت نفسها مستعبدة من المصرفيين الاثرياء الذين قدموا خدماتهم كمنقذين للاقتصاد الجديد، بينما هم يحكمون قبضتهم عليه".

"اذاً"، قال مهدي، "فرنسا كانت ضحية اولى لهم".

"وتلتها بريطانيا". اجاب حسام. "فبعد اجتياح نابليون بونابرت لاوربا واعلان نفسه امبراطورا. كان ناثان روتشيلد قد وزع اخوته الاربعة على اوربا للتحكم في اقتصاد الامم الاوربية. وجعلوا من سويسرا مقرا لقيادتهم. لذا. بقيت سويسرا محايدة حتى يومنا هذا. الم تتسائلا عن سبب عدم خوض سويسرا لاية حروب حتى اليوم ؟. و ان اهم بنوك العالم تتخذها مقرا لها ؟".

تبادل مهدي ومها نظرات الاستغراب.. اكمل حسام:

"ان الربح الاكبر لروتشيلد ومن معه هو تجارة الحروب. فهم يثيرونها بين اي طرفين متقاربي القوة من اجل الكسب المادي واغراق الامم بالديون ثم القبض عليهم باموالهم. فسيطروا على مصانع السلاح وصناعة السفن والمناجم وافران الفولاذ وغيرها مما يستخدم لصناعة السلاح. هل تصدقون بان مادمر جيش نابليون لم يكن برد روسيا ؟ لقد كان قطع المؤنة عن جيشه بواسطة النظام الخفي. استطاعوا اجباره على ترك العرش في النهاية. فقد دمروا جيش نابوليون بشبكة من عملائهم استخدموهم لبث الاضطرابات والفوضى في جيشه. وهو امر لاتصمد امامه اقوى الجيوش. وعملوا على الجبهتين المتحاربتين معا. فهم يصنعون الحرب ويمدونها الى الحد الذي يشبع نزواتهم الجشعة ثم يوقفونها متى شاؤا وبالطريقة التي يشاؤون".

قال مهدي و قد عدل جلسته: "وماذا حدث مع بريطانيا ؟".

رد حسام: " لقد استعان ناثان روتشيلد الذي كان في باريس بشبكتين من العملاء. الاولى تعمل على معرفة نتائج المعركة التي يخوضوها نابليون ضد الجيش الانكليزي وكانت تلك معركة واترلو بينهما. والثانية في انكلترا تبث الاخبار التي

سيوصلها ناثان روتشيلد الى هناك. ولما تاكد ناثان من انتصار القوات الانكليزية، ارسل انباء معكوسة الى انكلترا وبث اشاعة هزيمة قواتها، فدب الرعب في نفوس الانكليز وانهارت السوق المالية انهيارا شديدا، وهبط سعر الجنيه الاسترليني الى شلن واحد فقط. عندها انتقل ناثان بسفينة صغيرة الى انكلترا وقام هناك بشراء كل مايمكن شراءه من سندات واراض واسهم ومتلكات هو وشركائه. وعندما وصلت الاخبار الحقيقية عن انتصار انكلترا، عادت الاسعار الى طبيعتها فحقق روتشيلد وحلفائه ارباحا خيالية، وفي ثلاث سنوات من التامر على فرنسا وبريطانيا، وصلت ثروة عائلة روتشيلد الى نحو 6 مليارات دولار بمختلف العملات، بل كانت تزيد بنحو 7% سنويا وهو رقم خيالي قياسا بقوة الدولار في تلك الفترة".

كان مهدي ومها يشعران بالصدمة لكلام الدكتور حسام الذي استرسل قائلا:

"واحتفالا بذلك النصر، اقرضت مؤسسة روتشيلد الحكومة الانكليزية 18 مليون جنيه استرليني لاصلاح الخراب الذي احدثته الحرب مع فرنسا، ولما مات ناثان روتشيلد، كانت قبضته قد احكمت على مصارف انكلترا".

"استاذ"، قالت مها، "انت شديد الايمان بنظرية المؤامرة !".
ضحك الدكتور حسام، و نهض حاملا قطته متجها الى مكتبته المهيبة، مر باصابعه على عدد من الكتب المرتبة ضمن الرفوف، و التفت الى مهدي و مها و قال:

"من الممكن تزييف التاريخ لعامين.. ثلاثة.. لكن لا يمكن تزييفه الى الابد، ما امامكم، كتب نصفه من قبل امريكيين و انكليز و صينيين، جميعهم اتفقوا على ان المؤامرة واحدة، و هي كما شرحتها لكم !".

افلت تارا و عاد ليجلس قبالة مهدي و مها، بينما اشعل مهدي سيكارة، ضاق اتساع عينيه و قال: "وماذا حدث بعد سقوط اقتصاد انكلترا بايديهم دكتور ؟".

تنهد حسام و قال:

"كانت وجهتهم التالية هي امريكا، حين التقى شركاء روتشيلد مع بنيامين فرانكلين، العالم و السياسي الامريكي، حينها عزا فرانكلين ازدهار المستعمرات الامريكية الى اصدار الامريكيين عملتهم بانفسهم بما يتناسب مع الحفاظ على اقتصادهم، تلك المعلومة لفتت انتباه ال روتشيلد، وكان الهدف استصدار قانون يمنع اصدار المستعمرات الامريكية لعملتها بنفسها، وتلك الامكانية جائت من كون امريكا لاتزال ولايات متفرقة تابعة للاستعمار البريطاني الذي احكم ناثان روتشيلد السيطرة عليه بالامس، كما انه في الحين ذاته، كان امشل ماير روتشيلد لايزال في المانيا يمد بريطانيا بالمرتزقة الالمان مقابل 8 ليرات استرلينية لكل جندي، فكان نفوذه كافيا لاصدار القانون المطلوب للسيطرة على اقتصاد امريكا، وهكذا لم تعد للاوراق المالية الامريكية قيمة تذكر، فكان على المستعمرات الامريكية ان تودع في بنك انكلترا المسيطر عليه اصلا من قبل روتشيلد مبالغ وضمانات للحصول على العملة المطلوبة لها، لقد بدأ الاستياء في امريكا يتفاقم بين الامريكيين من النظام الجديد، وادرك القليلون منهم ان الضرائب الباهضة والعقوبات الاقتصادية التي فرضت عليهم انما تضعها اياد جشعة خفية سيطرت على الخزينة البريطانية".

شعر مهدي بكلام حسام كماءٍ يروي ارض فضوله المتعطشة، اكمل حسام مستطردا:

"بعد استقلال امريكا واعلان جورج واشنطن رئيسا لها، كانت الصدامات المسلحة بين البريطانين وابناء المستعمرات قد بدأت، ذلك الصراع الذي دام سبعة

اعـوام تعهد فيه المرابـون بتمويله. لقد جنوا منه ارباحا طائلـة عن طريق مد الحكومة البريطانيـة بالمرتزقة الالمـان حتى اعلن استسـلام الجيش البريطاني واسـتقلال امريكا رسميا عام 1783. لقد كان الخاسر الوحيد هو الشعب البريطاني. فقد ازداد الدين القومي البريطاني بشكل هائل مما مهد لتفكيك الامبراطورية البريطانية على ايدي المرابين.

اما امريكا الفتية. فقد انشا اولئك المرابون فيها ما اسموه البنك الفدرالي كمصرف تابـع للقطاع الخاص و كداعم لابقاء اصـدار العملة بيد الحكومة المنتخبة. الا انه كان يعمـل عكس ذلك تماما. فكان راسـمال المصرف الاتحادي هـذا 12 مليون دولار علـى ان يقترض من مصـرف انكلترا 10 ملايـين دولار ويسـاهم بالمليونين الاخرين اثريـاء امريكا. وهنا. عادت امريكا الى المرابين المسـيطرين اصـلا على بنك انكلترا. ولم يكتفوا بذلك فقد احكموا قبضـتهم على ماتبقى من الخزانة الامريكية بعد سـنوات. واشـتروا ما مقداره 250 الف دولار ليعود الى ملكيتهم ايضا. فاصبحت الخزينـة الامريكيـة بكاملهـا تحـت ايديهـم. كما منعـوا لاحقا بفعـل نفوذهم بالكونغرس المصرف الامريكي من حقه باصـدار عملته الخاصـة. بحجة ان النقد الذي يصـدره الكونغرس سيكون عديم الفائدة في الخارج. في حين ان النقد المستند الى قروض وضـمانات سيتمتع بضمانه قانونية. وهكذا. احكموا سيطرتهم على المال في امريكا. وهنا و في هذه المرحلة. لعب الاعلام لعبته. بان روج لافكار الرفاهية والبنـاء. فاسـتثمر الامريكييـون اموالهم. عندها. اصـدرت مجموعة روتشـيلد تعليمات سرية بالتوقف عن تقديم العروض والضـمانات. وضغط العملة المتداولة في الاسـواق. ماخلف ازمة مالية حادة ادت الى انهيار اقتصـادي مريع وانخفضـت الاسعار كما حصل في انكلترا. فاشترى المرابون عقارات و ضمانات بملايين الدولارات. وازدادت بذلك سـيطرتهم على اقتصاد امريكا الفتي. وعندما تنبه الامريكيون الى افعال القوى الخفية. احدث المرابون حربا جديدة لافقار الخزينة الامريكية حتى تركع لطلب المزيد من القروض. وحصـل ذلـك. وافق المرابون على منح المزيد من القروض مقابل تجديد امتياز مصرف امريكا ليستمر بلعبته تلك".

شـعر مهدي بثقل كلام الدكتور حسـام على ذهنه لثرائه بالمعلومات الاقتصادية التاريخية التي ضخها فجاة عليه.

"دكتور هلا تحدثنا عن ازمتنا الحالية ؟".

نظـر له حسـام نظرة جدية وقال: "اسـتاذ مهدي، ينبغي ان تعـرف ان الزمن الذي يتقـدم منذ ذلك التاريخ الى اليوم يقلل يوما بعد يـوم من قيمة الدولار الامريكي، تلك هي نقطة البداية ان اردت التحدث عن زمننا الحالي".

"كيف ؟"، قال مهدي.

رمق الدكتور قطته التي ربضت عند المدفأة ثم قال:

"لقد احكمت عائلة روتشـيلد السيطرة على الاقتصاد الامريكي عندما اسست البنك الفدرالي الامريكي و المعروف بـFed، و المتخصـص بطباعة العملة، بل انها ومـن معها مـن عائلات كبرى كعائلة روكلفـر وعائلة مورغان، قد اطاحت بسـتة رؤسـاء امريكيـين تجاسروا على الوقـوف بوجه تطلعاتهم الاقتصـادية عن طريق محاولة اولئك الرؤسـاء الحد من سـيطرة البنك الفـدرالي الامريكي على الدولار"، تنهد وقال، "وكان اخر اولئك الرؤساء جون كنيدي الذي اغتيل امام كاميرات التلفاز علنا.

اليـوم، لايسـمح للكونغرس ولا المخابـرات الامريكية ولا حتـى الرئيس الامريكي بـان يملي على البنـك الفدرالي مايجب عليه فعله وما لا يجب، ببسـاطة، هم من يطبعون عملة الدولار بالقدر الذي يناسب حاجتهم وفي الوقت المناسب".

"حتى الرئيس الامريكي ؟"، قالت مها باستغراب.

"نعم مها". اجاب حسام. "بالمناسبة ليس للورق ثقة ابدا كعملة. الثقة الوحيدة هي للذهب ولناخذ مثالا عن ذلك. لقد استقر سعر الدولار الامريكي لاكثر من مئة عام لانه كان لايطبع الا اذا كان لدى الخزينة الامريكية مايعادله من الذهب. حتى تورطت امريكا في حرب فيتنام التي انهكت اقتصادها كثيرا مما دفع الرئيس نيكسون عام 1970 لاعلان فك ارتباط الدولار بخزين الذهب ليوفر مساحة حرية طباعة الدولار دون تقيد بحجم خزينه الذهبي. منذ ذلك الحين بدا البنك الفدرالي هذا بطباعة العملة وفق مايتناسب مع طلبها في السوق وبدون تحدد. وكلما استنفذت المصارف خزينتها بالاقراض طبع لهم البنك الفدرالي ذاك الدولار بالارقام المطلوبة. ومنحها لتلك البنوك بفوائد طبعا. ماسبب زيادة في كمية الاوراق المالية من الدولار مقابل انخفاض قيمتها الشرائية. اسالك سؤالا مها: ماذا يمكنك ان تفعلين الان اذا اعطيتك 400 دولار وارسلتك الى السوق ؟".

فكرت مها وقالت مبتسمة: "ساشتري فستانين راقية مع حقائب واحذية بكعوب عالية !".

ضحك الدكتور حسام عميقا وقال: "يالعقل النساء كم هن مبذرات !".

طأطأت مها راسها خجلا. و نظر لها حسام نظرة حادة وقال:
"هل تعلمين بان هذه الـ400 دولار عام 1920 كانت ستحصل لك على سيارة جديدة من شركة سيارات امريكية وحديثة وبموديل تلك السنة ؟".

بلعت مها ريقها متفاجئة. اكمل حسام: "هل لاحظتم انخفاض قيمة الدولارعبر هذه السنين؟ تلك السيارة بالامكان شراءها بـ20 اونسة ذهب. اما الان فان سيارة من نفس الطراز بموديل هذا العام ستكلفك عشرات الالاف من الدولارات... لكن

بعشرين اونسة ذهب ايضا !".

قالت مها مترددة: "تعني ان الذهب لم يتغير قيمته كما المال؟".

"تماما"، قال حسام، "الطبيعة الام عزيزتي، هذا مايفسر انخفاض قيمة الدولار، الطباعة المستمرة له التي تسبب تضخم العملة، اي انخفاض قيمتها".

"دكتور"، قال مهدي وهو يحك اذنه، "لم تخبرنا عن ازمتنا الحالية".

"لم الاستعجال يا صديقي؟"، قال حسام، "لكل حدث اصل، وان اردت سبق استعجالك فساخبرك بما يجري اليوم، كما اخبرتكم فان الكم الهائل من الدولار المتوفر الان في امريكا والعالم سيخضع لهزة متعمدة يقوم بها احفاد رجال المال الذين سيطروا على اقتصادات فرنسا وبريطانيا وامريكا في السابق، والذين شرحت لكم ماقاموا به الان، كل مايقومون به هو اثارة حالة الرعب والهلع بين الناس عن ازمة اقتصادية، وذلك لاياتي من فراغ، فسادة المال يسحبون اموالهم دفعة واحدة من اسواق البورصة مايدفعها للانهيار، تنجم عن ذلك حالة الهلع الاقتصادي، سيقبض الناس على مالديهم من اموال دون تبديده بينما يسعى الاخرون الى سحب ودائعهم من المصارف التي تبدا بالافلاس اثر ذلك، وتتساقط الواحد تلو الاخر كاحجار الدومينو بسبب الاعسار المصرفي الذي تتسبب به زيادة المدفوعات للمودعين مقابل قلة الواردات، انهيار المصارف هذا سيزيد من حالة الهلع الاقتصادي، ومن اجل ان تعمل الدولة على طمانة الشعب و تدفعهم الى بذل ما لديهم من المال في شراء السلع و الخدمات و اعادة النشاط الاقتصادي، ستقوم بطبع المزيد من العملة عن طريق البنك الفدرالي وضخها الى السوق، فحالة القبض على المال ستسبب البطالة والكساد، فتعمل الحكومة على اعادة

النشـــاط للســـوق عن طريق ضـــخ المزيد من الدولار، الا ان الهلع الاقتصادي لايزال موجودا، فتطبع الحكومة المزيد والمزيد من المال ثم بحركة اعلامية اقتصادية واحدة يطمئن الســـوق الى الاستقرار، سيعمل المواطنون على صرف مالديهم من كميات اصبحت هائلة من المال بسبب الطباعة المستمرة للعملة وتوفرها، وعندما يبدأون لشراء السلع والخدمات مطمئنين للاســـتقرار المتحقق، سيغرق السوق بالدولارات الكثيرة وستقوض قيمته، مايعني بداية الانهيار الاقتصادي بالنسبة للدولار وهذا مانعيشه حاليا".

"ماغاية من يتلاعب هكذا في كل ذلك ؟"، قالت مها.

"ولو افترضـــنا"، قال مهدي، "اننا في بلادنا استبدلنا ما لدينا من العملة الصعبة (الدولار) باليورو، هل سيجنبنا ذلك ماسيلحق بالدولار من ضرر ؟".

رد حســـام: "اليـــورو الين واليـــوان جميعا، عندمـــا ينهار الدولار، ســـتعتمد الولايات المتحدة على على انزال مالديها من عملات اجنبية لامتصاص دولاراتها الزائدة من الســـوق لارجاع قيمتها، وبذلك ســـتنخفض قيمة تلك العملات لكثرة ضخها من قبـــل الولايات المتحدة، ولتجنب تلك الدول انهيار عملاتها ســـتقوم بانزال مالديها من دولار للبيع.
تخيل ان الصـــين حدها تمتلك نحو اربعة تريليونات دولار امريكي وســـتقوم ببيعها في السوق لاســـتعادة قيمة عملتها، سيحقق ذلك انهيار الدولار تماما، كذلك اوربا واليابان، تريليونات الدولارات التي في ايديهم ستباع لانقاذ عملاتهم مايسبب نهاية الدولار، وهكذا تســـعى كل دولة لانقاذ عملتها ببيـــع العملة الاخرى، وفي النهاية، ينهـــار المال بكل عملاته حول العالم ويكون عصـــر الذهب قد بدا، اما عن غاية من يتلاعب بالمال في كل ذلك، فانه طوال قرون من ســـيطرة بارونات المال والعملة على

اقتصادات دول العالم، فقد حققوا الحصول على كميات هائلة من الذهب في ايديهم، ولدى انهيار العملات الورقية و البورصات سيعود العالم الى الذهب، اي انه سيعود اليهم، ستكون تلك مرحلة اعادة الدول بناء اقتصادها وفق النظام الجديد، مايعني الاستدانة والاقتراض وتقديم التنازلات لهم للحصول على الذهب، اي ان العالم برمته سيركع لهم ولذهبهم، هذه هي الغاية النهائية".

فكر مهدي في الحصول على اجابة عما يجول في ذهنه من التفكير بالتوقيت المناسب للبدء بالبحث عن كنز المختار.
"طيب دكتور، هل يكفي مالدينا من ذهب في خزينة البلاد للنجاة من هذه الكارثة؟".

اجاب حسام: "قطعا لا، مانملكه من اطنان من الذهب لن يكفي، ولا تنس ان العراق لايزال مدانا للعديد من الدول والشركات في العالم بسبب حروبه المتكررة والمستمرة، نحن بحاجة الى اطنان اضافية من الذهب للنجاة، على الاقل لتكون تلك الكميات نواة بناء النظام الاقتصادي الجديد للعراق وفق النظام الاقتصادي الجديد في العالم".

سال مهدي مجددا: "لو كان لدى العراق منجم من الذهب مثلا، هل يتوجب عليه الشروع فورا باستخراج الذهب منه ام ان عليه الانتظار حتى يصل سعر الذهب الى ذروته ؟".

فكر حسام قليلا ثم قال: "مهدي، اذا كان ذلك المنجم بحاجة الى اشهر لاستخراج مافيه من الذهب فسيكون الاوان قد فات، نحتاج الى الذهب الان وهذا مستحيل.. الانهيار قادم لا محالة !".

اتكأ مهدي وهو يشعر بثقل المسؤلية التي القيت عليه..
يجب البحث عن كنز المختار.. الان !

"طيب دكتور ناسف لاننا شغلناك كثيرا باسئلتنا، يجب ان نذهب الان"، قال مهدي و قد اشار لمها بالنهوض.

رد حسام: "الى اين؟ لم تخبرني عما جرى للرئيس المختار؟".
اجاب مهدي: "سأخبرك بكل التفاصيل حال تأكدي مما حدث دكتور، اما الان فعلينا الذهاب".

لم يعجب حسام كثيرا برد مهدي، لكنه قال: "حسنا، اتمنى ان تكون طالبتك قد استفادت من حديثنا، بل اتمنى ان تنجز بحثها قبل ان يكون الاوان قد فات واصبح مافيه شيئا من التاريخ ".
ابتسم مهدي واطفا سيكارته، نهض ومها استعدادا للمغادرة وقد نهض حسام لتوديعهم.

.....

بعد ربع ساعة من مغادرة مهدي ومها لشارع منزل الدكتور حسام بسيارة مها الصغيرة، تفاجأ حسام باربعة رجال يقتحمون منزله مرتدين ملابس مدنية وهم يشهرون مسدساتهم، اعصبوا عينيه واقتادوه و قطته تارا التي اصر على اخذها معه بسيارة دفع رباعي الى جهة مجهولة.

الفصل 46

كانت سيارة مها تشق طريقها في شوارع بغداد التي لاتزال مبللة بفعل زخات الامطار المتقطعة.

"الى نصب الشهيد مها". قال مهدي ذلك وهو يشعر بالخوف لما كان قد سمعه من الدكتور حسام عن الانهيار القادم. "يجب ايجاد الذهب في اسرع وقت ممكن".

ضغطت مها على دواسة الوقود وهي تحاول المناورة بين السيارات والاسراع بالوصول الى وجهتهم المطلوبة. فنصب الشهيد يبعد عن منطقة الجادرية مسافة نحو ربع ساعة بالسيارة. حاولت مها الاسراع لبلوغه وهي تشعر بالفضول عما خباه الرئيس هناك.

يقع نصب الشهيد العراقي وسط جانب الرصافة من بغداد بين شارع فلسطين وطريق قناة الجيش السريع. شيد عام 1986. ويتكون بشكل رئيسي من قبة عباسية شطرت الى نصفين وهي تشهق بارتفاع 40 مترا وقد تم اكساءها بالقرميد الازرق المقاوم للظروف الجوية. ويرتفع من بين نصفي القبة الهائلين علم عراقي بارتفاع 3 امتار برز من الارضية وقد التف عليه علم اخر اشارة الى ان قبر الشهيد قد انشطر فيما لاتزال روحه المتمثلة بالعلم على اتصال بالسماء. والى القرب من العلم الملتف. يقع ينبوع ماء دائري الشكل وقد برزت من وسطه نافورات تغدق الماء الذي ينهال على ارضية في الطابق السفلي من النصب كرمزية الى تجدد الدماء للدفاع عن البلاد. ويحيط بينبوع الماء ذاك اطار اسود نقشت عليه ابيات شعر عربية نقلت عن شعراء عرب وقد كتبوها بحق الشهداء. و تنتصب القبة المشطورة ومابينها من علم وينبوع ماء على منصة دائرية من المرمر الابيض قطرها 195 مترا.

وهي تجثم على متحف سفلي يمتد على طول اتساع المنصة بشكل دائري، بينما يجثم هذا الطاقم باكمله على بحيرة صناعية واسعة، واستخدم الخداع البصري في ذلك النصب بشكل واضح، فالمرور بالسيارة في الشوارع المحيطة به يبدي شكل شطري القبة منطبقتان على بعضهما، فيما يبدان بالانشطار تدريجيا مع استمرار المشاهد بالتحرك ليفصحا عما بينهما من علم عراقي يلتف نحوالسماء، ثم مايلبثا ان يعودا للانطباق من جديد.

كانت لاتزال سيارة الاجرة تراقب عن كثب توجه سيارة مها عابرة الخط السريع باتجاه شارع فلسطين، فيما كانت معلومات ذلك التوجه تصل اول باول الى الجهة التي ارسلت تلك السيارة.

في مكتبه، كان اوريلنيغ لايزال يتابع الاخبار التي ترده عن جهاز التتبع الملصق اسفل سيارة مها.

الفصل 47

في ذلك المساء، كان البروفيسور سالم جرجيس قد تسلم التقرير النهائي لسبب وفاة صاحب الجثة 3297، وكان السبب كما فهمه من حالة الجثة حين شاهدها للمرة الاولى..

اغتيال بمادة سيانيد الهيدروجين.

تعتبر مادة سيانيد الهيدروجين من اكثر الغازات استخداما في عمليات الاغتيال الصامتة، حيث انها من المواد الشديدة السمية القاتلة والتي لاتاخذ وقتا في قتل الضحية اذا ما اعطيت بجرعة كافية، وتكفي منها كمية لاتتجاوز 0.2 من الغرام لقتل ضحية بالغة، ويستخدم السيانيد كمادة سائلة لغاز مضغوط يتحول عند انفلاته الى غاز قاتل، وهو غاز ليس له لون ورائحته اشبه برائحة اللوز المر.

وفسيولوجيا، فان دخول شاردة السيانيد الى جهاز الدوران يحول خضاب الدم الى مادة سيانيد الهيموغلوبين، وهوشكل غير فعال في نقل الاوكسجين الماخوذ من عملية التنفس الى اعماق الانسجة، حيث يتسبب دخول الغاز في تسارع تنفس الضحية وشعوره بالاختناق ثم مايلبث ان يفقد الوعي، عندها يتوقف القلب ويحدث الموت المفاجئ.

طوى البروفسور جرجيس اوراق نتائج التحاليل التي وصلته وخطا عائدا الى غرفته في مبنى دائرة الطب العدلي.

في تلك الاثناء، كان اللواء ماهر عبد الفتاح قد انهى اتصالا مع مدير دائرة الطب العدلي، اغلق الهاتف وامر احد مساعديه بارسال عجلة تابعة للمخابرات لاحضار البروفسور سالم جرجيس الى المنطقة الخضراء من اجل البدء بتحضيرات مؤتمر صحفي امام وسائل الاعلام سيشرح فيه جرجيس كرئيس للجنة التشريح سبب وفاة الرئيس كما هو مخطط له.
بالسكتة القلبية.

.....

كانت السلطات العراقية قد اغلقت نصب الشهيد العراقي بوجه المواطنين والسياح بعد احداث 2003، حيث تسلمت النصب من القوات الامريكية التي اتخذته لفترة مقرا لها، وسمحت تلك السلطات لاحقا لبعض طلبة السفرات المدرسية بدخوله فقط، فنصب بهذه الضخامة والاهمية لايمكن افتتاحه بشكل كامل في تلك الظروف خصوصا مع وجود امكانية استهدافه من قبل جهات متطرفة.
وصلت سيارة مها الى المدخل الرئيسي لنصب الشهيد في شارع فلسطين، اشار احد افراد الشرطة للسيارة بالتوقف، وعند توقفها، اقترب رجل الامن من نافذة مها التي انزلتها وهي تستقبل الشرطي بابتسامة فاتنة.

"الى اين سيدتي ؟"، سال الشرطي.

"ارجو المعذرة"، قالت مها، "لكنني اعتقدت ان بامكاننا زيارة النصب والدخول اليه"، ثم استطردت، "اسمي مها، وانا اعلامية جديدة في صحيفة خاصة، وددت التجول في النصب مع السيد مهدي لاعداد مقال صحفي عنه بعد احداث 2003، نتمنى ان تساعدنا !".

قطب رجل الامن حاجبيه فيما اخذت عيناه تتطلعان على جمال مها وانوثتها الطاغية.

"طيب"، ونظر الى مهدي، "وماعمل الاستاذ مهدي ؟".
تلعثمت مها قليلا، الا ان مهدي انقذ الموقف: "في الحقيقة، فانا صديق والدها، وهذه زيارتها الاولى للنصب، لقد جئت معها كمرشد سياحي باعتباري قد زرت النصب من قبل، لن نستغرق اكثر من نصف ساعة هنا".

تراجع الشرطي واخرج جهاز الاتصال خاصته واجرى نداءا اوضح فيه لرئيسه مايجري، انهى الاتصال واقترب منهما، "انسة مها، هل من هوية تثبت عملك كصحفية ؟".
اجابت مها مبتسمة: "قلت لك، لازلت جديدة في هذه المهنة، قد يمنحني ذلك التقرير الهوية كصحفية مقبولة في تلك الصحيفة".

"طيب"، قال الشرطي، "بامكانكما رصف سيارتكما عند المدخل والمضي مشيا الى داخل النصب".
"شكرا لك"، قالت مها، "سازودك بنسخة من العدد الذي سينشر فيه التقرير".

ابتسم الشرطي فيما حركت مها السيارة ورصفتها عند المدخل.
"ايتها الكاذبة البارعة!"، قال مهدي وسط ضحكات مها التي شعرت بامكانيتها في الخداع.

على مقربة من النصب وفي شارع فلسطين، كانت سيارة اجرة صفراء قد توقفت وترجل منها رجل اربعيني وقد فتح غطاء محركها، تظاهر باصلاح عطل في السيارة بينما كان يراقب دخول مهدي ومها الى داخل "نصب الشهيد".

الفصل 48

كان مهدي ومها قد عبرا مدخل نصب الشهيد مشيا واصبحا على الطريق المؤدي الى نصفي القبة الزرقاء، حيث كان عليهما ان يسيرا لخمسمئة متر على المرمر الابيض الممتد من المدخل الى مركز النصب، نظر مهدي الى مها التي كانت تحث الخطى الى جانبه، "مها، ما الذي جعلك متاكدة من ان المختار يقصد هذا المكان برسالته ؟".

اجابت مها، "استاذ ببساطة، فان القبر الازرق هو النصب، اما عبارة يقوم على اعمدة من ارواح فان الصحن الرئيسي للنصب يجثم على متحف اسفله، وحسب معلوماتي فان جدران ذلك المتحف حفرت عليها اسماء الجنود الذين سقطوا في الحرب على شكل اعمدة، يجب ان نعثر على العمود الاول ونبحث فيه عن الاسم الرابع والاربعون وهو ما اشار له المختار باللبنة الرابعة والاربعين".

كان مهدي يستمع اليها وقد اعجبه تفسيرها الذي بدا منطقيا جدا.

تتبع ارواح الموتى الاحياء..
في قبرٍ ازرق..
يقوم على اعمدةٍ من ارواح..
في العمود الرخامي الاول..
في اللبنة الرابعة والاربعين..
يقف الرجل الثاني حاملا حمامة الزاجل..

كان مهدي قد زار النصب ايام حكم نظام صدام حسين. وهو يعرف جيدا ان الجدران الداخلية للمتحف والخارجية للخندق المحيط به تغص باسماء مئات الالاف من الجنود.
استرجع ذكرياته. كان مما يذكره جدران محفورة عليها اسماء مرتبة ابجديا مع حروف تشير الى رتب المقاتلين. "لاذكر من اين تبدا واين تنتهي. سنسال احدا ما مها".

وصل الاثنان الى درج يقود الى اسفل الصحن الذي يتربع عليه نصفا القبة. نزلا الدرجات واصبحا في الخندق المحيط بالمتحف الارضي من الخارج. اصبحت الحدائق المحيطة بالخندق خلفهما وهما يواجهان جدار الاسماء امامهما وقد توسطه باب من الزجاج يبدو انه المدخل الرئيسي للمتحف الارضي. كان الباب يبدو مغلقا. نظرا الى الجدار الرخامي الذي يطوق المتحف من الخارج. فيما كان السقف فوقهما جزءا من القرص الواسع الذي تنتصب فوقه القبة بنصفيها.

نظرت مها الى عامل نظافة كان يمر قريبا وقالت: "لنساله استاذ". اومأ مهدي ونادت مها على العامل الذي اقترب والقى التحية.

"من فضلك. وددت ان اسال عن المدخل الى متحف النصب". اشار العامل الى باب قريبة على اليمين. شكرته مها وخطت مع مهدي الى الباب.

لدى دخولهما الباب. وجد مهدي ومها نفسيهما يطلان على قاعة صغيرة للمؤتمرات بمقاعد حمراء داكنة على شكل مدرج. استمرا بالتقدم فصادفهما شاب في العشرينات من العمر.
"تفضلا !". ابتسمت له مها وقالت: "انا مها. صحفية..".

قاطعها الشاب مبتسما وقال: "صاحبة التقرير الصحفي، لقد كنت بانتظاركما، اخبرني امر قوة الحماية بقدومكما، تفضلا من هنا".
نظرت مها الى مهدي وفهم الاخير نظرتها..
يجب ان لايرافقنا هذا الشاب!
لم يرد الاثنان اطلاع احد على مايبحثان عنه.

"وددت ان..". قالت مها للشاب، "اشكرك على لطفك، السيد مهدي يعرف النصب جيدا، سنكون بخير وحدنا، اذا احتجنا اي مساعدة سنخبرك".

قطب الشاب حاجبيه وقال: "حسنا، ادخلا من قاعة المؤتمرات وانزلا الى بداية المتحف وتجولا انطلاقا منها فيه، غرفتي هنا ان احتجتما اية مساعدة".. واشار الى غرفة كانت اعلى قاعة المؤتمرات.

شكر مهدي الشاب وانطلقا نازلين الى ارض القاعة، كانت باب صغيرة في تلك القاعة تؤدي الى مدخل المتحف، عبرها مهدي ومها فوجدا نفسيهما في مكان فسيح، لفتت انظارهما على اليسار ارضية دائرية بلون فاتح وقد توسطتها قطعة مكعبة بدت كمقعد صغير، نظر الاثنان الى السقف الذي يعلو الدائرة، كان العلم العراقي البارز بين القبتين يبدو من الاسفل وقد دخلت اشعة الضوء من حافاته الزجاجية لتنير الارضية الدائرية، بدا مشهدا خلابا.
انعطف الاثنان الى اليمين حيث بداية المتحف، كان على يسارهما حاجز زجاجي تبدو خلفه المياه الساقطة من الينبوع في الاعلى، استمرا متقدمين نحو بداية المتحف الواسع، كان المتحف يمر بشكل دائري قطره 190 مترا حيث يستطيع السائر فيه ان يكمل دورة كاملة مارا بالجدران ذات الاسماء و المعارض الزجاجية لمقتنيات ضحايا نظام البعث، حيث تم استبدال مقتنيات الجنود الذين سقطوا في

الحـرب العـراقية الايرانية بمقتنيات مواطنين وسياسـيين ورجال دين اعدمهم نظام صدام حسـين، وبعد ذلك وبعد المرور بالمتحف الدائري الواسع، يجد السائر نفسه في ذات المكان الذي انطلق منه بعد اتمامه الدوران لـ 360 درجة.

تابع مهدي ومها الاحرف التي تبدا بها اسماء الجنود المحفورة على الجدران الداخلية للمتحـف، لاحظا ان تلك الاسـماء تبدا باحرف متأخرة في حـروف الهجاء العربي، اسـتمرا باحثيين عن الحرف (أ) كحرف اول في الاسماء على امل العثور على العمود الاول منها.

ذهلت مها لما تشاهده من متحف واسع تحت النصب، فتلك هي المرة الاولى لها هنا منذ ان زارت النصـب كطفلة في المدرسة الابتدائية حيث زارته في سفرة مدرسية ذات مرة، كان المنظر رائعا، فتحت سقف مرتفع وانارة خلابة، كانت الارضية اللامعة من المرمر تعكس انارة السقوف المستديرة على طول المتحف الدائري الفسيح، تابع الاثنان الاسماء على الجدران، لم تكن الا تبتعد عن الحروف الهجائية العربية الاولى.

في تلك الاثناء، كانت لاتزال سـيارة الاجرة متوقفة على مقربة من النصـب، ولازال الرجل الاربعيني يتظاهر باصـلاحها، حيث بدات السـماء بانزال قطرات زخة اخرى مـن امطارها، ما اضـطر الرجل الى اغلاق غطاء المحرك والدخول الى سـيارته وقد فتح اشارتي السيارة الصفراوين وبقي يراقب من داخلها.

اما سـكوت اوزيلينغ، فقد كان مرتاحا في مكتبه وهو يتابع عن طريق فريق المراقبة خاصته تحركات سيارة مها، وهو يعلم الان انها مركونة عند بوابة نصب الشهيد في شارع فلسطين.

بعد مضي نحو ربع ساعة قضاها مهدي ومها في البحث عن اسماء الجنود البادئة بحرف (أ)، وجدا نفسيهما تحت العلم المعلق في سقف النصب مجددا، لقد عادا الى ذات النقطة دون العثور على مرادهما.

"اخشى ان علينا ان نسال الشاب الذي التقانا لدى دخولنا"، قال مهدي.
ردت مها مازحة: "لاتقلق استاذ، لقد عرفت امكانياتي في التظليل، لنمضِ ونساله".

ابتسم مهدي نصف ابتسامة وخطى مع مها الى قاعة المؤتمرات مجددا في الطريق الى غرفة الشاب، صعد الاثنان الى غرفة الشاب الذي كان يجلس خلف حاسوبه، القيا التحية، قالت له مها: "استمتعنا جدا بالتجول في المتحف، فقط اردت ان اسال عن المكان الذي تبدا منه الاسماء، فلم نعثر عليه داخله".

ابتسم الشاب وقال: "لو انكما سالتماني لما احتجتما الى البحث عنه في المتحف، فبداية الاسماء تبدا في الجدار الخارجي لمتحف النصب و ليس الداخلي منه !"، استغرب الاثنان مما قاله، نهض الشاب وخطا نحو باب الغرفة: "اتبعاني".

تحرك الاثنان خلفه وهو يسير عائدا الى الباب المؤدي الى الخندق الخارجي المقابل للحدائق، شعر مهدي ومها بنقاوة الهواء البارد حيث كانت السماء تزخ رذاذا من المطر الذي كان يحميهما منه السقف الدائري لصحن القبة المنشطرة، بعد خطوات قليلة نحو السلم الذي دخلا منه الى الخندق، توقف الشاب ونظر اليهما ثم اشار الى الجدار الرخامي.

"من هنا تبدا الاسـماء". قال الشـاب و هو يشـير الى قطعة من الجدار. نظر مهدي ومهـا الى الجـدار المحفور عليـه اسـماء المقاتلين. وفعـلا. كانت جميع الاسـماء المحفورة عليه تبدا بالحرف (أ). اقترب مهدي من الجدار واقتربت معه مها. لقد كانت رتب الجنود مكتوبة بحروف مختصرة تسـتبق اسـمائهم. في تلك الاثناء. نادى احد العاملين في النصـب على الشاب الذي رافق مهدي ومها. استاذن منهما وانصرف تاركا اياهما امام العمود الاول من اسماء الجنود.

نظر مهدي الى الجدار المقصود. و بدا يقرا الاسماء المكتوبة بدءاً من الاسم الاول:

جـ أ ابا الغائب علي حسن..

"لقد وصلنا استاذ. يجب ان نعد حتى الاسم الرابع والاربعين". قالت مها.

بدا الاثنان بالعد:

جندي اباذر ابراهيم صالح سعيد

ن ع اباذر جابر عداوة منوفي

عدا حتى وصلا الى الاسم الرابع و الاربعون كما اشارت رسالة الرئيس. و قرآ الاسم معا:

جـ أ ابراهيم احمد محمود

نظرت مها الى مهدي وقالت مستغربة: "مم. وماذا يعني ذلك ؟".

كان مهدي صامتا وقد كتف ذراعيه ووضع يده على فمه..
كسر صمته بكلمات قليلة..
"مها..
انه اسم *والدي* !".

نهاية النسخة المجانية

بامكانكم الحصول على الكتاب الكامل عن طريق :

- مكتبة دار الحكمة في شارع المتنبي

او الاتصال بـ(زاجل كتب) على فيسبوك

لمعرفة منافذ البيع في العراق و العالم